عبدالرزاق بدرخان

(السيرة الشخصية)

Ji weşanên kovara Havîbûn-1

Avtobîografiya
Ebdurrizaq Bedirxan

Werger û amadekar: Celîlê Celîl

Çapa yekem: 1999 Berlîn

Portrêt: Goran

Danana bergî: Guhdar Bazaz

Bicihînan: Kerîmê Byaniy

Freie Universitat Berlin-ASTA

Kovara Havîbûn

c/o Kurdistan AG

Kiebitzweg23

14195 Berlin

ISBN:3-926522-16-X

من إصدارات مجلة هافيبون–١

الطبعة الأولى: ١٩٩٩ ألمانيا–برلين

عبدالرزاق بدرخان

عبدالرزاق بدرخان

(السيرة الشخصية)

ترجمة:

دلاور زنكي

حقوق الطبع والنشر محفوظة

اسم الكتاب: عبدالرزاق بدرخان

(السيرة الشخصية)

الترجمة من الكردية:

دلاور زنكي

الطبعة الأولى

مطبعة اميرال

بيروت–لبنان

٢٠١٠

المقدمة

منذ أواخر القرن التاسع عشر وحتى مستهل القرن العشرين لم تخل صفحات الجرائد والصحف والوثائق التركية والفارسية والألمانية والروسية وسائر وسائل الإعلام الأخرى من ذكر اسم "عبدالرزاق بدرخان".

ولا نشك في أن سبب شهرته الواسعة يعود إلى تضلعه من العلوم والثقافات، وإلى منجزاته السياسية والتنويرية والاجتماعية.

وقد قيّمت كل دولة أعمال "عبدالرزاق بدرخان" على غرار ما يملي عليها الهوى وحسب أهدافها ومنافعها الشخصية. وألحقت بها نعوتاً وصفاتٍ لا تعد ولا تحصى. ولكنّ ذلك لم يفتّ في عضده ولم تزعزعه قيد أنملة إذ كان قد وضع نصب عينيه تحرير وطنه وخلاص شعبه والرقي بهما فظل مثابراً في السير على هذا النهج القويم لأنه كان قد بذل حياته لهذه الغاية النبيلة وناضل وجاهد حتى نال الشهادة والتحق بموكب الشهداء.

لم تكن حياة عبدالرزاق بدرخان حياة مديدة، ولكنها كانت مشحونة بالأحداث، زاخرة بالمعاني الكبيرة، والمآثر العظيمة، وأننا لا نجد في عهده شخصية كردية تضاهيه في خصاله

وشمائله أو تبلغ شأوه في نصرة وطنه وقومه مهما بحثنا ونقبنا هنا وهناك.

ومن دلائل عظيم قدره وعلوّ شأنه أن خصومه وأعداءه تتبعوا خطواته خطوة خطوة واصغوا إلى كلماته كلمة كلمة فقالوا عنه أشياء كثيرة ولهجوا باسمه، وكتبوا عنه في صحفهم ومذكراتهم بين مدح ونقد فتداولها القراء وتدارسوها ثم جمعوها واتخذوها مرجعاً وحفظوها في "أرشيفهم" وصارت فيما بعد تاريخاً لسيرة رجل من طلاب الحرية.

وكانت حياة عبدالرزاق بدرخان منصبة على علاقات وأحلاف الدول الآسيوية والأوروبية والروابط بينها، وكانت مساعيه وأعماله مكرسة لخوض غمار الحركات السياسية والاقتصادية والعسكرية والتصدي لها وغدت هذه الحركات ميادين وساحات لمعاركه في الحياة.

إن شجرة العائلة البدرخانية مليئة بأسماء الذين خدموا القضية الكردية ونافحوا عنها. فمنهم من سار على النهج السياسي ومنهم من سلك طريق النضال والكفاح ومنهم من انتهج المسلك العسكري ومنهم من اختار الجانب الاجتماعي والتنويري فنال كل منهم شهرة واسعة في مجاله.

وفي وسط هذه النجوم اللامعة والمنيرة تشع وتسطع نجمة عبدالرزاق بدرخان بطريقة فذة، وتتجلى خصوصيته وتفرده

في أنه كان يزاول جميع الوظائف التي ألمعنا عليها ولم يكتف بوظيفة واحدة وأدى فيها أدواره.

لقد كان عبدالرزاق بدرخان في الوقت نفسه شخصاً مثقفاً ورجل سياسة وقائداً عسكرياً، مهتماً بفكرة التعاون السياسي والاقتصادي بين الدول أي كان رجل عولمة، محباً لوطنه، عالماً، وكان بارعاً متضلعاً من جميع هذه الفنون، يتقنها كل الإتقان. ولقد شهد له أولئك الذين التقوا به وعرفوه قريباً عن كثب، أنه كان ذا شخصية متزنة، راجح العقل، سديد الرأي، يتمتع بعمق التفكير ويتمتع بكل كمال صفات الرجولة، إضافة إلى سعة علمه وثقافته فكانت هذه النعوت والخصائص تدهش معارفه وأصدقاءه وتذهلهم. وكان عبد الرزاق بدرخان ذكياً حاذقاً يميز الصديق من العدو ويضع الأمور في نصابها ويعرف لكل شيء حقه. لم يكن مجهولاً ولم يكن ليدير ظهره لهموم قومه و قضية بلده غير مبال أو غير عابئ بل كان داعية، يدعو إلى تحرير أرضه ورفع الضيم عن أهلها. وقد استطاع أن يرسخ في أذهان الذين يلتفون حوله أن قضية الوطن قضية عادلة وللشعب الكردي أن يطالب بحقوقه السليبة. ولقد كان هذا الموضوع محور حياته، نابعاً من صميم عقيدته وإيمانه.

كانت الحكومة العثمانية تنظر إلى عبد الرزاق بدرخان نظره شك وارتياب وتقف منه على حذر وتتوجس منه خوفاً، لذلك

حاولت أن تزعزع مكانته وتزيله عن مسرح القضية الكردية بشتى الوسائل من ترغيب وترهيب فقد عرضت عليه مناصب رفيعة وأموالا طائلة دون جدوى، وأصدرت أحكاما بهدر دمه وخصصت مكافآت كبيرة لمن يقضي عليه وكلفت عناصر من المجرمين ألقتله المأجورين لاغتياله.

ولكنه ظل شوكة تدمي مقلة خصومه، وتقضُّ مضاجعهم، فكان الروس. يعاملونه معاملة مكشوفة وعلنية، وكانت الحكومة الفارسية تقف منه على حذر وتخشاه، وتعمل في الخفاء في تشويه سمعته والتقليل من شأنه. أما الحكومة العثمانية فكانت دائبة بدعم من الدولة الألمانية في التشنيع عليه والطعن في سلوكه "الديني" بين الفئات المسلمة و نعته بكل النعوت السيئة. وحاولت هاتان الدولتان أن تنظر إليه الحكومة الروسية نظرة شك.

لقد كان الوقت جائراً ومجحفاً، ففي تلك الأيام كانت الدول المتحالفة تبرم عهودها وتخوض معاركها بكل قسوة وضراوة ووحشية فوق أراضي الشرق الأوسط.

لم يكن الوقت حليفاً لتلك الدول وحسب ولكنه ساهم في إنهاك الشعب الكردي الذي كان يرزح تحت أعباء اقتصادية مزرية وفاقة وحرمان، في أرضه المحتلة حيث لا يجتمع أفراده على كلمة واحدة فرجال الدين مختلفون في ما بينهم على أشد ما يكون الخلاف وكبار العشائر والزعماء متدابرون متنافرون،

يستحر بينهم القتل وتتفاقم العداوة، ولكنّ عبدالرزاق بدرخان استطاع بحنكته وسعة فهمه وإدراكه أن يلم شملهم ويصلح ما بينهم ويرأب صدعهم ويجمعهم على رأي واحد وهدف مشترك ليكونوا فيما بعد ظهيراً لدعوته، ولكن هذا الجهد لم يثمر كثيراً لأن حياة التعاضد الكردي واتحاد أفراد الشعب كانت حياة قصيرة مبتسرة، ولم تكن تخلو من شوائب.

كان كل شيء غامضاً ومبهماً، ولم تكن الأسباب متاحة ولم تكن السبل ميسرة، ولم تكن المعالم واضحة لخوض معارك واسعة. وقد كانت حياة عبدالرزاق بدرخان أمثولة من البسالة والتضحية، وكان ملماً بأحداث التاريخ ويأخذ من بيدر الوقائع ما يصلح أمر قومه ويفيدهم ويدع ما لا خير فيه لشعبه ويتشبث بكل ما يسعفه في تحريره وتخليصه من ربقة المتسلطين، غير أن الدول المتصارعة لزمت الصمت إزاء المسألة الكردية حتى الأكراد أنفسهم لم يحركوا ساكناً ولم يهبوا لنجدة القضية التي وضعها عبدالرزاق بدرخان نصب عينيه.

وكلما أتيحت لـــ"عبدالرزاق بدرخان" فرصة اللقاء برجال السياسة والدبلوماسيين ومن لهم صلة بالشؤون الدولية وقضايا الشعوب لم يحدثهم إلا في المسألة الكردية، وكان إذا جلس إلى العلماء والمثقفين حدثهم عن الوسائل التي يمكن اتخاذها لتوعية المجتمع الكردي وتنويره وتطويره. وكان إذا اجتمع بضباط الجيش الروسي وقواده حدثهم عن الأمور العسكرية والخطط

الحربية أثار دهشتهم بخبرته ومعلوماته، وهكذا فإنه لم يكن أمل معرفة ورسوخاً في العلم من هؤلاء وهؤلاء في مجمل معارفهم ومعرفتهم.

في عام ١٩١٨م وقع "عبدالرزاق بدرخان" في يد الجيش التركي ونفذ فيه العدو الحكم عليه بالإعدام شنقاً.

وبعد أن وضعت الحرب الكونية الأولى أوزارها لم يكتب أحد من الناس شيئاً ولم يتحدثوا عنه ونسوا أمره أو تناسوه.

إن أحداث التاريخ قد يأتي عليها النسيان أمداً ولكنها لا تضيع.

في أعوام الستينات حينما رغب باحثون من السوفييت في الكتابة عن تاريخ الشعب الكردي الحديث نقبوا في السجلات[1] الروسية القديمة، السياسية والعسكرية والجغرافية التي غطاها الغبار "لطول إهمالها" واخرجوا هذا التاريخ إلى النور.

هذه الوثائق كشفت النقاب عن ينابيع جديدة لحياة "عبدالرزاق بدرخان". وقد صدرت مطبوعات عن بعض تلك الأحداث.

ولكن سيرته الحميدة وحياته المباركة جديرتان بإلقاء الضوء عليهما.

---

[1] ـ الأرشيف.

وُجدتْ في "أرشيف" روسيا وثيقتان باللغة الروسية ترجمةً عما كتبه "عبدالرزاق بدرخان" بخط يده. أما الأصل فلم يعثر عليه، ولكن هذه الترجمة أصبحت ركيزة أُعتمِدَ عليها لإصدار هذا الكتاب.

١- **الوثيقة الأولى** كتبها عبدالرزاق بدرخان في شهر أيلول عام ١٩١٠م كتبها لسفير "روسيا" ن. ف. تشاريكوف في القسطنطينية "استانبول".

ما الغاية التي كتبت من أجلها هذه الوثيقة؟

ففي أعقاب عام ١٩٠٨م حين تسلمت "تركيا الفتاة" مقاليد الحكم وتسنمت سدة الحكم في الإمبراطورية العثمانية أطلقت سراح السياسيين الذين أودعوا السجون والزنزانات في عهد السلطان عبد الحميد السفاح، وأعادت السياسيين الذين ابعدوا عن الوطن_ إلى ديارهم،.

بيد أن مسألة تحرير أعضاء الأسرة البدرخانية تأخرت واستمرت فترة طويلة حتى عام ١٩١٠م. وقد أثيرت قضيتهم بحدة في البرلمان وأذيعت هذه الأنباء ونشرت على صفحات الجرائد والصحف هنا وهناك فاضطرت "تركيا الفتاة" إلى التوقف لديها وإعادة النظر فيها ثم أصدرت قراراً خاصاً لجلبهم من المنفى. ومنحهم الحرية.

كان عبد الرزاق بدرخان بعد عودته من المنفى منذ اليوم الأول يتوجس خيفة من حكام البلاد الحدد (تركيا الفتاة) أن يلحقوا به الأذى وبأهل عائلته ويظل حذراً مترقباً ويخشى أن ينال شرورهم أبناء شعبه قاطبة، وبناء على هذا الحدس و الهواجس قرر مغادرة الأراضي التركية و الهجرة إلى "روسيا" فقد كان يمني نفسه بالإقامة في قفقاسيا حتى يتسنى له تقديم العون لقومه وخدمة شعبه. ولكي تأذن له الحكومة الروسية بدخول أراضيها فقد كتب عن سيرته وحياته الشخصية بإيجاز في صفحات قدمها للسفير الروسي في "إستانبول" وكانت هذه الكتابة مدونة باللغة التركية استناداً إلى الوثائق السابقة. في هذه الوثيقة يكتب عبد الرزاق بدرخان عن قصة حياته وعن تاريخ عائلته و الأحداث التي ألمت بها ويكشف عن موقفه ورأيه في حكومة (تركيا الفتاة) تجاه الشعب الكردي بشيء من الاختصار، وبناء على بناء على رغبته التي تضمنتها هذه الكتابة توسط السفير الروسي لدى "وزارة السياحة " Der gerya" التي وافقت على سفره ومنحته حق الإقامة في أراضي دولتها، وبعد أن حصل الإذن بدخول أراضيها سافر إلى "قفقاسيا" ثم ذهب إلى إيران وأقام في منطقة قريبة من الحدود التركية و الفارسية وقد كانت إيران آنذاك تحت الانتداب الروسي.

٢-**الوثيقة الثانية** هي أيضاً ملخص عن حياة عبد الرزاق بدرخان وفيها سرد مكثف عن نضاله في أعوام م١٩١٠-١٩١٦م بعد إقامته في المنطقة التي كانت تحت الهيمنة الروسية، وهذه الوثيقة عبارة عن /٤٥/ خمس وأربعين صفحة طبعت على "الآلة الكاتبة" ولا ندري عن أي لغة ترجمت ولا نعلم بأية لغة كتبت أول مرة ولكننا نقرأ على غلاف هذا الكتاب كلمة "ترجمة" وأنني أميل إلى الاعتقاد بأن الكاتب أستخدم اللغة الفرنسية أول وهلة عند الكتابة، وهذا الاعتقاد يفضي بنا إلى القول بأن_حسب ملفات متفرقة_ عبد الرزاق بدرخان شرع يدوّن جميع كتاباته باللغة الفرنسية بعد لجوئه إلى الأراضي التي تحتلها روسيا لأننا لا نجد بين الملفات بشتى أعدادها وأماكن وجودها وثائق مكتوبة باللغة التركية أو سواها باستثناء ما كتبه عبدالرزاق بدرخان.

ما الحاجة التي دعت إلى كتابة هذه الواقعة؟ في أعوام١٩١٠م-١٩١٦م كان عبد الرزاق-من أجل تحرير الشعب الكردي- متعاوناً مع الحكومة الروسية المعادية للدولة العثمانية حاول خصومه وأعداؤه بكل الأساليب وشتى الوسائل تشويه سمعته فزعموا أنه جاسوس في الحكومة الروسية وقالوا إنه عميل لألمانيا. وفي أثناء الأعوام الأولى للحرب الكونية حاولت جهات سياسية وعسكرية أرمنية مسخ صورته في عين روسيا حتى تتفاقم وتتصاعد قوة عبد الرزاق العسكرية ويعلو شأنها.

وكان بعض الدبلوماسيين الروس لا ينظرون إلى عبد الرزاق بدرخان نظرة صداقة ويقفون منه موقف عداء ومشاحنة. وبهذا فقد اضطر للجوء إلى "تبليس" والإقامة فيها، وحينئذ بدأ يتذكر الأحداث التي ألمت به ويدونها بشيء من الاقتضاب في كتاب دون أن يهمل منها حدثاً أو واقعه ثم قدمه إلى الموظفين الدبلوماسيين في "القفقاس".

لصدور هذا الكتاب أهمية بالغة، ففيه نقرأ خلاصة سيرته الذاتية ونتلقى منه أجوبة عن مسائل كثيرة تشغل البال. إحدى هذه المسائل المعاهدة المبرمة بين الكرد والأرمن. ومازال أمر هذه المعاهدة ضالة الباحثين الموضوعيين حتى هذا اليوم يرجون العثور عليها. وإننا لنجد في هذه الوثيقة ما يشفي غليل أولئك الباحثين ويشبع فضولهم وينير لهم السبيل.

يعبّر عبد الرزاق بدرخان في هذه الوثيقة عن ضآلة معرفة الروس بأحوال الأكراد وكردستان وعن خيبة أمله فيهم وتقاعسهم عن وضع حل للقضية ونظرهم إليها بغير مبالاة أو مبالاة لا تستحق الذكر.

وإننا نرى الروس يستغلون الأكراد ويسخرون طاقاتهم لمنافعهم وأغراضهم الشخصية وحسب.

ومن خلال دراستنا لهاتين الوثيقتين التي ستأتي على ذكرها فيما بعد وكذا سائر الوثائق التي تطبع ولم تنشر، نفهم أن

عبدالرزاق بدرخان كان يميّز روسيا الديمقراطية التقدمية من روسيا المستعمرة المحتلة الرجعية.

حقاً إن هاتين الوثيقتين توجزان سيرة عبد الرزاق بدرخان وأيام حياته القصيرة. إلا أن لهما أهمية قصوى تحفز على البحث والتنقيب عن مئات الوثائق الأخرى لمعرفة المزيد عن حياة هذا المثقف القومي المناضل وإلقاء الضوء عليها. وإيضاح ما أنبهم منها إيضاحا شاملاً.

عند ترجمة هذا الكتاب إلى اللغة الكردية أضفنا أحياناً كلمة وضعناها بين قوسين إمعاناً في تبيان الجملة وشرحها.

جليلي جليل

الوثيقة الأولى

(١)

كان الأمير بدرخان آخر أمراء الجزيرة و"بوتان" وكانت الإمارة وصلت إليه عن والده الأمير عبد الله، فكان صاحب القرار متمتعاً بإصدار الأحكام ويمتلك حق الاستيلاء والهيمنة على الولايات العصرية الراهنة: وان_ بتليس_ أرزروم_ دياربكر_ سنجق سليمانية_من ولاية "الموصل" وكذلك من حقه السيطرة على أرض إيرانية بجانب "هكاري" وأن يضع اليد على عشائر الجنوب التي تصل رحلاته إلى "الرها". وكان أمراء الجزيرة وأمراء "بوتان" يعرفون ببأسهم وقوتهم. وحتى هذه الأيام يجمع الأكراد كلهم ويعترفون اعترافاً صريحاً أن الأمير بدرخان هو أهم الأمراء على ساحة "كردستان" وأكثرهم مروءة وفضلاً ووقاراً.

صحيح أنه ارتحل عن هذا العالم ولكنه ترك على أرض كردستان من المآثر وصور العطف والرحمة والحكمة وصور البطولة الشيء الكثير الذي لا يزال حياً في ذاكرة الشعب الكردي وكأنه مازال بين ظهرانيهم آمراً ناهياً حتى الآن.

ولا يزال المسيحيون الذين سكنوا منطقة "بوتان" يذكرون عدالة الأمير ورأفته وكان يعاملهم معاملة ملؤها الرحمة

والعطف ويخصهم بمزيد من المحبة والرأفة "حين كان الآخرون يسعون إلى إبادتهم".

في عام ١٢٦٢هـ – ١٨٤٥م[٢] خرج عمر باشا "الذي كان قائداً في حرب القرم" من استانبول بخمسة عشر ألف جندي نظامي مغيراً على "بدرخان". كما خرجت لغزوه قوات أناضول تحت إمرة الوزير "عثمان باشا" الذي كان والياً على "حلب" آنذاك.

وبعد حروب ومعارك دامت حَوْلاً أُخِذ "بدرخان" إلى استانبول مع أفراد من عائلته وبعض المقربين له، ثم نفي إلى جزيرة "كريت".

أن الدولة العثمانية أحدثت صنفين من الميداليات والأوسمة وكانت هذه الأوسمة مرصعة بالأحجار الكريمة وُزعت تحت شعار "من أجل احتلال كردستان" أما الوسام الآخر وهو أرفع وسام في الدولة منح أول مرة للسلطان واستحقه فيما بعد بعض وزرائه وقواد جيشه، ومازال أصحابها حتى اليوم يعلقونها على صدورهم في المناسبات الرسمية وإقامة المراسم وقد نُوِّه بها في المفكرة السنوية.

[٢] ـ هذا التاريخ غير صحيح. تقدم جيش العثمانيين بقيادة عثمان باشا في ربيع من عام 1847م بحملة عسكرية على بدرخان باشا..

في تلك الأعوام التي عاشها بدرخان بك منفياً في جزيرة كريت التقت "موالدافيا" و"فالخيا" (عام ١٨٦٢) وأسستا رومانيا الجديدة. وبهدف إرسال بدرخان بك إلى "بكليكا" عاصمة ض رومانيا استنجد السلطان عبدالعزيز بالقسطنطينية فأرسلت سفينة خاصة. إلا أن الملك الروماني "كارل" استضافه بدعم أوربي فلم تستطع الحكومة التركية مجابهة هذا القرار والتصدي لهذا العمل وأذن له السلطان بالتوجه إلى دمشق والإقامة فيها. وقد توفي بعد خمسة أعوام من مكوثه هناك.

إن المارشال (الألماني) الذائع الصيت "مولتكه" الذي عاصر السلطان محمود يتحدث في مذكراته عن كردستان يورد فيها اسم بدرخان بك.

إمارة الجزيرة وبوتان

بعد ظهور الإسلام اتخذ الأمير عبدالعزيز بن سليمان من جزيرة "ابن عمر" مقراً لحكومة الأكراد وإدارة شؤونهم.

ولكن بعد احتلال كردستان وإيران من قبل "قويونلو" جاء أتباع الأمير عبدالعزيز سليمان الذين عرفوا باسم "آزيزان" ومكثوا في الحكم الذي وصل إليهم من الأمير عبدالعزيز قرابة ألف ومائتي سنة باستثناء فترات قصيرة.

عندما استولى السلطان سليم الأول بلاد مصر والحجاز وفيها "مكة" أعلن الخلافة وسمى نفسه "الخليفة" وقف الأمير شريف الأمير الأول لـــ"بوتان" مع الشاه الإيراني الذائع الصيت إسماعيل الصفوي في وجه هذا الدين على الرغم من أن الأمراء الأكراد كانوا يسخرون السلطان على حكمه ويعترفون بخلافته، وعلى الرغم من أنه طرد الفرس من أراضي كردستان.

وهكذا دأب زعماء "بوتان" من "السُنّة" يؤيدون سلاطين بني عثمان ويشدون أزرهم حتى عهد بدرخان بك، فكانوا يتوسعون أحيانا في مساحة إمارتهم، وطوراً تظل الإمارة في أطراف جزيرة "بوتان" وقرب حدودها.

تألق بين شعراء الأكراد اسم شاعرين كبيرين طبقت شهرتهما الآفاق أحدهما الشاعر العظيم الملا أحمد الجزيري له ديوان شعر ينظر إليه الأكراد كما ينظرون إلى كتاب سماوي مقدس، وفي احدى قصائده تطالعنا بعض الأبيات نفهم منها أن حدود إمارة الأمير: عماد الدين كانت تبلغ تخوم جبال طوروس.

Ne xêma Tebrîz ke Kurdistan li der hukmê te bî

أما الآخر فهو الشاعر النابغة ملا أحمد خاني صاحب ملحمة "مم و زين" الرائعة، وقد عاش قبل ثلاثمائة. وفي ملحمته الشعرية نقرأ أبياتاً فائقة البلاغة في مدح الأمير: زين الدين كهذا البيت:

Padîşah hîhî hevt iklamam sêlamkarê te bî

وقد ترجم هذا الديوان إلى عدة لغات منها الفرنسية واللاتينية والألمانية.

مرحلة ما بعد بدرخان

بعد رحيل الأمير بدرخان لم تأذن حكومة العثمانيين لبنيه ولا لأحفاده بالشخوص إلى "كردستان" أو زيارتها، وكانت قد أصدرت قراراً بصرف رواتب شهرية لهم حتى لا يظلوا متعطلين من العمل ومنقطعين عن أسباب العيش.

وكان باستطاعة غالبية هؤلاء الأبناء متابعة دراستهم في الأراضي التركية وحسب ولم تسمح لهم بالسفر إلى خارج البلاد لهذه الغاية، لذلك لم يستطيعوا أن يذهبوا في تحصيل العلوم شوطاً طويلاً ويبلغوا شأواً بعيداً.

حكايتي

إنني أنا صاحب هذا الكتاب ومؤلفه أدعى عبدالرزاق بك، ابن المغفور له نجيب باشا الابن البكر لوالده بدرخان. إنني في العقد /٤٦/السادس والأربعين من العمر.

بعد أن أنهيت دراسة اللغات الشرقية ونلت الشهادة في الدراسات العليا، حاولت الذهاب إلى فرنسا- وكان ذلك منذ ثلاثين عاماً- بقصد الدراسة وتلقي العلوم، بيْد أن السلطان عبدالحميد حال بيني وبين رغبتي ومنعني من تحقيق هذا الحلم.

ثم أدركت فيما بعد أنّ السلطان كان يسعى إلى حرمان عائلتنا من علوم أوروبا ومدينتها والاقتباس من حضارتها. ولكي لا أرتاب في أمر السلطان واقطع منه جذور الأمل. عيّن لي منصباً في وزارة "الخارجية" ووعدني وعد الأصدقاء بإيفادي إلى أوروبا.

وفي أمل أن يبر بوعده ويفي بعهده، أمضيت أعواماً في الوزارة وبعد ثلاث سنوات أو أربع سنوات تم تعييني ملحقاً سياسياً في السفارة التركية في "بطرسبرغ".

مكثت في "بطرسبرغ" سنة ثم استدعيت إلى القسطنطينية لأسافر بعد ذلك بصفة "سكرتير ثانٍ" في السفارة في طهران

وبينما كنت أتابع سفري للالتحاق بعملي في طهران أرجف المغرضون وأشاعوا عني أموراً سياسية لست منها في شيء، ولدى وصولي إلى "سامسون" عدت أدراجي بمشيئة السلطان عبدالحميد وإرادته إلى استانبول. ولقد كنت أدرك منذ القديم مدى سوء أحوالي وأحوال سائر أفراد عائلتي في بلد يتسلط عليه حكام عثمانيون وحزب تركي. واعرف الأخطار التي تحدق بنا وتتربص بنا.

ولكي أنجو وأحافظ على حياتي سافرت ولجأت إلى (تبليس) رجاء أن اسكن في "يريفان" قريباً من كردستان.

ولما كان جميع الموظفين الكبار الروس في السفارة الروسية في استانبول يعرفونني معرفة جيدة فقد سافرت "تبليس" والتقيت بشخصيات كبيرة لها مكانتها وشهرتها فأكرموا وفادني واستقبلوني برحابة صدر.

كان السلطان عبد الحميد في شك مريب بسبب ذهابي مثلما كان جواسيسه ورجال استخباراته الأتراك يخامرهم مثل هذا الارتياب. وبعد فيضٍ من المكائد والدسائس استطاع السلطان عبدالحميد أن يظفر ببغيته. وقد أعلن لي حكام "تبليس" بصراحة أنه لا يحق لي الإقامة في تركيا وروسيا وإيران ثم أرسلوني برفقة ضابط من البوليس إلى "باتَيم" (أو باتوم في جمهورية جورجيا).

ولكي أفرَّ من تعقب السلطان عبد الحميد وملاحقته لجأت إلى (Anglya) إلا أنَّ السلطان اكتشف مكان إقامتي وأقنع والدي (حين كان على قيد الحياة) بآلاف المواعيد والمواثيق فأرسل في طلبي وعندئذ عدت إلى القسطنطينية (استانبول).

وهل كان في اليد حيلة؟ ماذا كنت سأفعل؟ لم يسعني سوى الرجوع. لا ريب أنني كنت تحت أنظار البوليس السري ومراقبته. ولدى عودتي أُسندت إلى مهمة أداء المراسم لدى (منير باشا) ولكنني لم أسلم من المتاعب وأنا في هذه الوظيفة وكانت حياتي مهددة دائماً حتى أنني اضطررت للاستغاثة بالسفارة الروسية لتكون ظهيراً لي. وأنني الآن مدين لها بحياتي.

أمضيت أربعة عشر عاماً في "السراي" أمارس عملي في المراسم حتى وصلت إلى منصب "Bala=عالي" وكوفئت على عملي فمنحتُ الميدالية العثمانية من الدرجة الأولى. كما أنني –وأنا في هذا العمل– منحت أوسمة رفيعة وميداليات ملكية من دول آسيا والدول الأوروبية فتألق نجمي وذاعت شهرتي. ونلت أيضاً وسام "Stanîslavaya" المقدس المزخرف بالنجوم من الدرجة الثانية.

بعد مقتل "رضوان باشا" –القائد العام لجهاز البوليس سابقاً، كثرت الأقاويل من هذه الأقاويل أنهم زعموا بأن الذين أقدموا

على قتله حاولوا إشاعة الفوضى وإثارة الفتنة والقلاقل في القسطنطينية للإطاحة بالسلطان وإزالته عن العرش.

إن الذين خططوا لهذه المكيدة ذكروا أسماء بعض الأشخاص من عائلتنا والصقوا بهم التهمة بهذه الجريرة لإثارة سخط السلطان. وكان من جراء ذلك أن اعتقل يوماً بعد يوم أقرباؤنا وأنسباؤنا الأقربون ومن يلوذ بهم الذين كانوا يقطنون في القسطنطينية، ثم ألقي القبض على سائر أهلنا أينما وجدوا في أرجاء كردستان فأودعوا السجون والقلاع والزنزانات أو أجلوا من البلاد إلى المنافي.

أما أنا فقد عزلوني من عملي في القصر وجردوني من حصانتي ثم زجوني على الفور في السجن المركزي وألزموني بالمكوث فيه عدة ساعات. ريثما حضرت السفينة "مكّة" ورست إلى جانب الشاطئ وكانت قد جاءت لغرض ترحيلنا جميعاً إلى طرابلس "عاصمة ليبيا الآن"، وكانت الحكومة العثمانية قد خصصت هذه المدينة مكاناً للنفي إليه.

وفي طرابلس ألقي بنا في السجن. أما أنا –بناء– على رغبة السلطان قيدوا قدمي بأصفاد ثقيلة ووضعوني في زنزانة ضيقة دون غطاء "ليس لها سقف".

وبعد مرور زهاء شهر وصلت سفينة خاصة من القسطنطينية تحمل على متنها مجموعة من الشخصيات ذات المناصب العالية في دوائر الدولة ووزارتها.

وبإرادة من قصر "يلدز"– قصر السلطان عبدالحميد حين كانت السفينة تمخر عباب البحر أصدر هؤلاء الشخصيات أحكاماً جزائية بحقنا وجلبوها معهم. ثم أن هؤلاء الحكام اختلطوا بحكام "طرابلس" فابتكروا ألواناً من الاتهامات والوثائق الزائفة وأدانونا بها. وعندما صدر الحكم بالإعدام على أربعة أشخاص كنت أحدهم. أما سائر المساجين فقد حُكم عليهم بالسجن المؤبد "الحبس مدى الحياة" أي أنهم نجوا من الموت، ولم تصدر عليهم الأحكام بالقتل. وبهذه أصدرت الدولة الرتب والأوسمة ووزعتها على أولئك الذين ساهموا في الدسائس وإلحاق الأذى بنا. وبعد عودة السفينة بمن كان على متنها إلى القسطنطينية، أُخْرِجنا إلى زنزانة معتمة خانقة لا تتحرك فيها نسمة هواء، أمضينا فيها عشرة شهور لم يُقدم لكل منا سوى ألف غرام من الخبز الأسود وقليل من الماء لا يفي بحاجتنا.

بعد مرور ستة وعشرين شهراً أمضيناها في الزنزانة صدرت الأوامر بحل أغلالنا الثقيلة ونَقْلِنا إلى السجن، وهكذا كان في الأيام التي كنا نعاني فيها مرارة الأسر في غياهب السجون نهب رجال الدولة أموالنا وأموال أهالينا وأقاربنا وسرقت ممتلكاتهم بناء على القوانين القديمة البالية حتى أن ثيابي

وملابسي لم تسلم منهم فقد أخذوها وساروا بها، وكانت الدولة قد طوقت دورنا ومنازلنا بعناصر من الشرطة ورجال الاستخبارات وحاصرتها فبقي أفراد عائلتنا ومن هم في خدمتهم دون طعام في ضنك من العيش وفي أسوأ الأحوال، وظل الأطفال دون أمهات تعنى بشؤونهم وتقوم على رعايتهم. أما جدتي ووالدتي فلم تتحملا المزيد من هذه الحياة البائسة ولم تصمدا لهذه المأساة فتركتا هذا العالم.

حسنٌ. فلنقل أن السلطان: "عبدالحميد" كان امرءاً رعديداً، جباناً، كثير الشك والريبة- يخشى ظله- وكان طاغية فصنع بنا ما صنع دون وجه حق كما أملى عليه الهوى. لقد كان يريد تمزيق شملنا وإبادتنا. وبعد وضع الدستور الجديد؟ بل وبعد صدور العفو العام الخاص بالسجناء السياسيين؟.

لقد حررت "تركيا الفتاة" جميع المنفيين المقيمين في "غزّان" الليبية من البلغار والأرمن وأعادتهم إلى ديارهم فلماذا لم تُعامل كمعاملتهم ولم نحُذ حذوهم؟ ولماذا كانوا يطبقون علينا بنود القانون(٥٧) و (٥٨) ويخلطون الأوراق ويدلسون ويمسخون ويشوهون تاريخ عائلتنا على الرغم من أننا قدمنا خدمات جليلة للدولة العثمانية، وسهرنا على أمنها وسلامتها وحرصنا على استقرارها فلماذا لم تكف عن إيذائنا والإساءة إلينا؟ ولماذا لم تحررنا من الأسر كبقية السجناء الذين كانت لهم سابقة في سياسة الدولة وشؤون أمنها. إننا خدمنا هذه الإمبراطورية بكل

إخلاص ووفاء ولم يرتب أحد في هذا الإخلاص والوفاء ولم نكن موضع شك واتهام بشكل من الأشكال ومع ذلك لم نستطع أن نعيش في يوم من الأيام بأمان واطمئنان وننام ملء جفوننا، لأننا كنا دائماً وأبداً يُراد بنا الأذية والظلم دون أية ذريعة من الذرائع ونموَّهُ بجرائم لم نرتكبها، وما كانوا ليتورعون عن سفك دمائنا إن استطاعوا إلى ذلك سبيلاً. وكانوا ينظرون إليّ دائماً نظرتهم إلى غريب وحالوا بيني وبين حقوقي الشرعية، حتى أنني ألقيت في السجن ولبثت فيه اثنين وعشرين شهراً بعد صدور قانون العفو العام ثم ردّت إليّ حريتي بقرار عفو خاص.

سيادة السفير المحترم

نعتقد أن تركيا لن يكون في وسعها أن تكون لنا نحن أمراء الأكراد أو لأولادنا وطناً حقيقياً في يوم من الأيام، وسوف لن يتقاعسوا عن اعتقالنا وأسرنا وقتلنا ولن يكفوا عن إيداعنا السجون وسلبنا ونهبنا. يقول فوليتر العظيم:

وطني هو المكان الذي أستطيع أن أعيش فيه حراً. إذا أساء الآباء والأمهات إلى آبائهم فلا بدَّ لهم من أن يتولوا ويفروا منهم وعلى غرار أولئك الأطفال الذين يساء إليهم ويعاملون بقسوة أن أفر– حرصاً على نفسي وأولادي– واتخذ لي روسيا وطناً وملاذاً وأن أقيم في "يريفان" فأتفرغ لإدارة أعمالي التجارية. وإنني على يقين أن السفارة الروسية في القسطنطينية

تعرف سيرتي جيداً وتلمُّ بدقائق حياتي وتاريخي. وإنني وطيد الأمل في أن تنظر إليّ الإمبراطورية الروسية كما تنظر إلى رعاياها وتعدني احد مواطنيها.

إنني بكامل الأهبة للسفر، وأمامي بعض شهور الصيف لاتخاذ الإجراءات، فأرجو السماح لي بالتوجّه إلى "تبليس".[٣]

في ١٤/أيلول/عام١٩١٠م و ١ أيلول ١٣٢٦هـ

ترجمة: نيكولاييف عبدالرزاق آزيزي

(التوقيع) (التوقيع)

3 - SGÎA Grûz.ssr.Bingeha Nr.15,Deftera1.Girêka Nr.310.

الوثيقة الثانية

(٢)

إن الأرض التي يعيش عليها الأكراد تقع بين جبال "قفقاسيا" و "عربستان". وتبدأ هذه الأرض عند "البحر الأسود وتمتد حتى تخوم الخليج الفارسي.

من ناحية عدد سكان لا يوجد إحصاء دقيق يمكن الاعتماد عليه لا عند الكرد ولا عند المهتمين الأجانب بهذا الشعب.

في كردستان منطقة يقال لها "بوتان" تتألف من منطقة "سيرت" و"بدليس" ومن المساحة الواقعة في الجنوب الشرقي من ولاية "وان" ومن غرب ولاية "دياربكر".

لقد حكمت أسرة "آزيزان" هذه (المنطقة) الرقعة من أرض كردستان ثلاثة عشر قرناً متعاقباً حكماً مستقلاً في أحيان كثيرة أو في ظل الخلافة أطواراً ودام هذا الحكم حتى العهد العثماني. وقد عرف أمراء هذه الأسرة كأقوى الأمراء وأكثرهم بأساً. إلا أن هذه الأرض احتلتها قوات تركية ذات مرة يطلق عليها اسم "Kara koyunlu" أي "الكباش السود". كما احتلها مرة أخرى قوات تركية تسمى "ak koyunlu" أي "الكباش البيض" ثم ما لبثت أن تحررت ونالت استقلالها.

عندما وقف السلطان "سليم الأول" ضد الشاه إسماعيل الصفوي وناصبه العداء. أيد الأكراد "الشيعة" الشاه وشدوا من أزره، أما الأكراد "السنة" فناصروا السلطان ووقفوا إلى جانبه.

ولما كان أمراء "بوتان" من المسلمين السنة، فقد تعاونوا مع السلطان مقابل اعترافه باستقلالهم. ودامت هذه الحال حتى جاء السلطان عبدالحميد وجلس على كرسي الخلافة" وكان جدي: بدرخان آنذاك أميراً على مناطق "بوتان" وأكاد أقول أن كردستان برمتها كانت ضمن إمارته حتى أن أكراد "سلماس" و"أورمية" كانوا ينضوون تحت لواء هذه الإمارة وهيمنتها.

إلا أن السلطان عبدالمجيد سخط عليه بسبب شهرته الواسعة وجسّد هذا السخط عام ١٨٥٠م[٤]، حيث أرسل لمحاربته قوات عسكرية من الأناضول تحت قيادة الوزير: عثمان باشا، وكان ضمن هذه القوات خمسة عشر ألف جندي نظامي جاءوا من القسطنطينية "استانبول" يقودها "عمر باشا" الذي شارك متأخراً في حرب القرم وكان في هذه الحرب يقود الفيالق التركية.

بعد معارك دامت حولاً أسروا أمير "بوتان" وذهبوا به إلى القسطنطينية ثم أعد السلطان عبدالمجيد "ميدالية" تحمل اسم "كردستان" وبعد تأسيس رومانيا الجديدة استدعى السلطان

[4] هذا التاريخ خطأ، والأصح 1847م.

عبدالمجيد، الأمير بدرخان إلى استانبول رغبة في تنصيبه حاكماً على رومانيا

مكث الأمير بدرخان في القسطنطينية خمسة أعوام ثم هاجر إلى دمشق وتوفي هناك بعد عام.

عندما أسر السلطان عبدالمجيد الأمير بدرخان، اشترط عليه الأمير أن يترك له قلاعه ولا يرفعوا عنها يده. ومن هناك أرسل إلى جزيرة "كريت".

من أجل ذكرى هذا الاستقلال:

إلا أن الحكومة العثمانية عارضت هذا الشرط ووضعت اليد على جميع أموالنا وممتلكاتنا وعوضتنا عن ذلك بـــ"١٨٠" مائة وثمانين ليرة راتباً شهرياً، فكان الفرد منا – حين يوزع هذا المبلغ على أسرتنا ذات الأشخاص الكثيرة– لا ينال الواحد منا إلا الشيء النزر والقليل جداً.

ولما كان الحظر مضروباً على جميع أفراد الأسرة البدرخانية من دخول أراضي كردستان فقد ظلوا في القسطنطينية وتلقوا فيها الدراسة وعملوا في وظائف مهمة ونالوا درجات رفيعة في الدولة العثمانية هنا وهناك.

لقد كنا نخدم الدولة العثمانية بكل أمانة وإخلاص ولا نألوا جهداً في سبيل تقدمها وأمنها وازدهار، ولكننا لم نشعر أنهم

يثقون بنا أو يرتاحون إلى وجودنا بينهم... بل على النقيض من ذلك كنا موضع شكوكهم دائماً.

اسمي "عبدالرزاق يزدان شير" حفيد بدرخان (ابن نجيب باشا البدرخاني–المترجم) حصلت على درجتي العلمية في القسطنطينية، وبدأت أول وهلة العمل في الوزارة الخارجية وتقدمت فيه.

في عام ١٨٩١م تم تعييني سكرتيراً في السفارة التركية في "بتروغراد"[٥] حيث واظبت على العمل عاماً واحداً. وبعد ثلاثة أعوام كلفت بمهام رئيس المراسم في بلاط قصر السلطان عبدالحميد ولبثت في مزاولة هذا التكليف مدة خمسة عشر عاماً وترفعت إلى مرتبة "عالي" وحصلت على أوسمة وميداليات من الدولة العثمانية وكوفئت بمثلها من الدول الأجنبية.

في تلك الفترة كانت علاقتي وطيدة ومتينة بسيادة "زينوفييف" المبجل وكانت علاقاتي حسنة بأعضاء سفارة الإمبراطورية الروسية.

---

[5] - بتروغراد: كان اسم بتيربوغ بين عام 1914-1924، وفي حرب العالمية الأولى واثناء الحرب الألمان- والروس تغير الاسم إلى "بيتير" بالالمانية واسم "بيتروغراد من عام 1924-1992 اصبح لينينغراد بالروسية. وفي عام 1992 رجعت التسمية كما كانت "بيتربورغ. المترجم.

قبل عشرة أعوام بسبب نزوة من نزوات السلطان عبدالحميد وأوهامه وغبائه ألقي القبض على جميع أفراد عائلتنا في وضح النهار وأودعوا زنزانات منفردة ثم صدر الحكم بالإعدام عليّ وعلى ثمانية أفراد من أسرتنا، وقبل تنفيذ الحكم نفينا إلى قلعة طرابلس الأفريقية حيث مكثنا فيها أربعة أعوام وأرجلنا مكبلة بالأغلال الحديدية الثقيلة.

بعد صدور العفو العام عن كافة السجناء السياسيين أُحتِفِظَ بنا سبعة عشر شهراً دون أن يفكوا أسرنا. وبعد مضيٍّ هذه الأشهر أُفرِج عنّا وَعدنا إلى القسطنطينية.

لدى عودتنا إلى القسطنطينية وجدنا أن أموالنا وأملاكنا قد استبيحت ونهبت، وفي هذه السنوات من المحنة كان أولادنا ونساؤنا في أسوأ حالات البؤس والشقاء وعلمنا ان البعض قد قضوا نحبهم لأنهم لم يتحملوا قسوة الحياة ولم يصبروا على هذا الضيم.

لم يكن في وسعي التفاهم مع حكومة "تركيا الفتاة" وعن طريق مترجم السفارة السابق، ذاك الرجل الفاضل "مالدن شتان" وصلت إلى السفارة نقلت رغبتي في السفر إلى روسيا لسيادة "تشاريكوف".

وبأذن من الوزارة الخارجية وموافقة وتأييد "تشاريكوف" ومساندته حضرت إلى "تبليس" وارتبطت في العمل السياسي بالرجل المسؤول عن القضايا السياسية "د. س.كوخانوفسكي".

لقد ذكرنا قبل الآن أن الثقة انعدمت بين الحكومة التركية والأسرة البدرخانية. وعلمنا أن جميع المحن والويلات التي حلت بساحة كردستان كانت بتدبير من السلطات الحكومية التركية الفاشلة فأدركنا وأدرك معنا كل كردي واعٍ أن النير التركي يجب أن يزول عن أعناقنا وعلى ذلك عقدنا العزم وصممنا على التحدي.

في نهاية الحروب الروسية التركية عام ١٨٧٧م دخل عمي عثمان باشا وعمي حسين باشا أراضي "بوتان" وأعلنا الثورة إلا أنَّ السلطان عبدالحميد أخمدها.

لقد كان يؤلمني ويحزُّ في صدري أن تهمل الحكومة التركية الشعب الكردي إهمالا ذريعاً ولا تبالي به وتستهين بحياته وتستهين به وهو الشعب المفطور على الفطنة والذكاء المتطلع إلى المدنية والحضارة ويتمتع بقابليته للتطور والرقي أكثر من كثير من شعوب وأمم أخرى وحينما كنت لا أزال فتى صغيراً ترسخ في نفسي الاعتقاد بأن روسيا هي معقد آمالنا ولن يتحقق حلم الشعب الكردي إلا على يد روسيا القريبة منا وليس على يد غيرها لأنها الأكثر قرباً منا، لذلك تروننني قد حضرت إلى "تبليس".

في أواخر حكم جلالة الكسندر الثالث(من عام ١٨٨١-١٨٩٤ كان إمبراطور روسيا-المترجم) كان السيد "نيليدوف" سفيراً في القسطنطينية، دونت آرائي التي أؤمن بها في كتاب سلمته إلى يد مستشار السفارة آنذاك السيد "جادوفسكي"، وفي ذلك العهد كان السيد "ماكسيموف" ترجمان السفارة الأول، وهو الآن مندوب في البرازيل. ثم ان "جادوفسكي" حوّلني إلى "كريازنوف".

ذهبت إلى "تبليس" حيث عرّفني "كريازنوف" بالجنرال "زيلوني" والكولونيل "كوليوباكين".

وبعد اختلاطي بهؤلاء الأشخاص المهمين والمحاورات المستفيضة لم يثمر مسعاي ولم تتمخض جهودي عن شيء. وظلت خططي حبراً على ورق لأن السلطان عبدالحميد اتصل اتصالاً مباشراً بالقيصر ورجا منه إبعادي عن " قفقاسيا".

قبل حضوري إلى روسيا كنت قد خطوت وسرت سيراً حثيثاً باتجاه الحكومة الروسية بغية لفت نظرها إلى القضية الكردية.

ولقد خطوت خطوات أخرى في هذا المجال ولكن ذكرها في هذا المقام مفصلاً في هذا المقام فسوف يشغل حيزاً كبيراً. لذلك آثرت أن أدخل في صدد قضية حضوري الأخير إلى هنا في الخامس عشر/١٥/ من شهر أكتوبر/ تشرين الأول عام

١٩١٠م حيث وصلت إلى "تبليس" وأبرمت عقد معاهدة بروسيا.

وما أن أطلقت بعض الحريات خرجت من القسطنطينية بذريعة ممارسة أعمالي التجارية بموافقة من الحكومة التركية والروسية وتوجهت إلى "وان".

حينما وصلت إلى "تبليس" قصدت السيد "كوخانوفسكي"، فأنشأ بيني وبين القائد المسؤول علاقة وارتباطاً ليساعدني هذا المسؤول في الذهاب إلى "ماكو" وفي الحال انطلقت سائراً إلى "ماكو" وكان غرضي من ذلك أن أرسخ إقامتي في أرض قريبة من الحدود التركية حتى يتسنى لي هناك مخالطة العشائر الكردية في قراها الواقعة في إيران وتركيا إلا أن الحكومة التي كانت قد وضعت يدها على بعض المناطق التي كنت أزمع الذهاب إليها وكانت القنصليات التركية قد نشرت قوات عسكرية للحفاظ على أمنها وسلامتها، فكان عليّ أن أعد خطواتي وأسير على حذر شديد وأن أقيم علاقات جيدة مع المسؤولين حتى اكسب صداقتهم ولا أثير الشبهات حولي وأكون موضع إتهام.

وبعد أن أمضيت مدة أسبوع في "ماكو" توجهت شطر مدينة "خوي" ولم تكن القنصلية الروسية قد أنشئت هناك في ذلك الوقت. كانت المدينة تحت هيمنة الثوار الإيرانيين وكانت القنصلية التركية تتصرف بصلاحيات مطلقة.

فمددت يد معاهدة الصداقة إلى القنصل التركي الذي كان من معارفي القدماء منذ أيام القسطنطينية وكان رجلاً فاضلاً يدعو إلى الخير وهو الذي بلغني نبأ كتاب التوصية الذي يقضي بمراقبتي مراقبة دقيقة وحذرة حتى لا أرتاب فيها فأكون على حذر منها، ومعرفة كل ما أقوم به.

غادرت "خوي" إلى "كوتور" قاصداً حليفي وكنت قد أخبرته بعزمي على القدوم إليه.

بعد عدة أيَّام شيعني "سمكو" بقوة عدادها /١٥٠/ مائة وخمسون فارساً مسلحاً حتى "المخفر" التركي في قرية "رازي". ومن هنا تابعت السير من خلال قرى العشائر "الملية" و "الموكرية" حتى وصلت إلى "وان".

في وان تقدمت إلى السيد "أولفرييف" وعرّفته بشخصي وفي خلال لقائي مرات كثيرة بهذا الرجل النابه المتسم بالحكمة والاتزان تحدثت عن خطتي. لقد كان هذا الرجل –حسب عقيدتي– أكثر الناس خبرة ومعرفة وعلماً بالقضية الكردية.

فأرسل برقية إلى وزارة الأعمال الخارجية لإيصالها إلى جلالة الإمبراطور بغرض حضوري إلى "وان"، لأكرس جميع خدماتي وطاقاتي في سبيل الإطاحة بالنير التركي وتأسيس كردستان ذات حكم ذاتي تحت الإشراف الروسي.

علمت من "أوليف" أنني دائماً تحت أنظار البوليس التركي السري، وأن والي "أرزروم" أوعز إلى قائد البوليس في "بازبد" أن لا أغيب عن الأنظار.

في "وان" تقرّب إليَّ رجال عسكريون وكذا مدنيون متظاهرين بالصداقة للتغرير بي- بناء على رغبة جمعية "الاتحاد والترقي" وكتابة تقرير عني لإدانتي وزجي في السجن العسكري.

بعد مرور عشرين يوماً ودَّعت السيد: أوليف رغبة في العودة إلى "كوتور" ومن "كوتور" شرعت في التوجه إلى "سوما" و "برادوست" و"تيركاور" وصولاً إلى قرية "النبي". وفي هذه القرية زرت "كرد بكي" رئيس عشيرة "بك زاده" وبعد ذلك اتخذت طريقي إلى "أورمية". وفي الحقيقة لقيت الحفاوة والتقدير من جميع أفراد العشائر الكردية التي حللت فيها وبعد أخذ و رد ومحاورات مستفيضة أجمعت الآراء على مجابهة القوات العسكرية التركية وطردها من "سالماش" و"أورمية" اللتين تحتلهما تركيا.

في الأحاديث التي جرت أخيراً في دار "كرد بكي" بخصوص هذه المسألة كان من رأي كبار العشائر وزعمائها أن الأمر يحتاج إلى الرعاية الروسية ومساندتها. فبادرت إلى السفر إلى "أورمية" حيث تم الاتصال بالقنصل الروسي بواسطة ممثلين لأخذ موافقته على شد أزرنا في الساحة السياسية.

وفي الحال عدت أدراجي إلى "أورمية" حيث علمت من كل روساء العشائر الذين التقيت بهم أن المخابرات التركية منذ ذهابي وحتى الآن جادة في البحث عني، ودون هوادة.

عندما حضرت إلى "أورمية" أسرعت في الذهاب إلى القنصلية الروسية وفي القنصلية عرفت أن القنصل الروسي "كولوبينوف" غائب في مهمة وسوف يعود بعد ثلاثة أيام. فرأيت عندئذ أنَّ الضرورة تقضي إنشاء علاقات ودية بالقنصل التركي "سعدالله بك" فقد كان تحت إمرته جنود منتشرون في محيط "أورمية" وأرجائها إضافة إلى فيالق نظامية.

بعد عودة السيد "كولوبينوف" ذهبت إليه زائراً، وفي اليوم التالي التجأت إلى المنزل الذي يقيم فيه سكرتير القنصل. عندما وصل ممثل "كورت بكي" إلى القنصلية الروسية طمعاً في المؤازرة والتأييد قال له السيد "كولوبينوف":

-إمَّا لضعف ثقته بهذا المسعى أو لغرض آخر في نفسه وكان جوابه على الشكل التالي:

-لا أستطيع أن أقول لكم شيئاً.. اذهبوا واصنعوا ما شئتم كما يطيب لكم.

ذات مرة حين كان السحر في مستهل بزوغه جاءني رسول القنصل التركي برسالة. يسألني فيها المثول في القنصلية التركية لأمر ذي بال وملحٍّ جداً لا يحتمل التأجيل.

وفي ذلك الوقت كان رجل يدعى "آغا بتروس"[٦] أميناً على أسرار "سعدالله بك" وكان حليفاً للأتراك وفي نفسه الرغبة في دخول المناطق الروسية، جاء إليَّ وحذرني من أنَّ "سعدالله بك" قد حصل على موافقة من رؤسائه لاعتقالي وتسليمي إلى المخفر التركي القريب وأن القادة الإيرانيين في المنطقة قد صدرت إليهم الأوامر للمساهمة في أمر هذا الاعتقال، وبناء على هذا التحذير لجأت إلى القنصلية الروسية واختبأت هناك بدلاً من استضافة القنصلية التركية.

حاول "سعدالله بك" بكل الأساليب الترغيبية والوسائل الترهيبية أن يجعلني في قبضته، ولم يأل جهداً في التهديد باقتحام دار القنصلية وأخذي عنوة. وبعد مرور يومين التمس "سعدالله بك" من السيد "كولوبينوف" أن يفسح له الطريق في الحضور إلى القنصلية للقائي والتحدث إليَّ، وبحضور السيد "كولوبينوف" تلا عليَّ إرادة السلطان الرسمية التي تتضمن ضرورة عودتي إلى تركيا فقلت له بأنني سوف ألبي رغبة السلطان وسوف أغادر الأراضي الروسية إلى مصر لأنها جزء من الأراضي التركية (العثمانية).

---

[6] - آغا بتروس: سياسي آشوري كان يسعى لخدمة شعبه.

يئس "سعدالله بك" وقطع منا الأمل خرج وتركنا وشأننا وخشية أن ألوذ بالفرار وحفاظاً على اطمئنانه أصدر الأمر إلى الجنود للإحاطة بالقنصلية وقطع جميع الطرق. أما السيد "كولوبينوف" فقد قام هو أيضاً بتدبير إذ عزّز حماية القنصلية بفرقة من رجال "القوزاق"، وفي تلك الأثناء جاء الخبر من السفير الروسي في استانبول إلى السيد "كولوبينوف" بأن السلطة في "أورمية" قد صدرت إليها الأوامر للقبض عليّ وبناء على ذلك أخبره السيد "كولوبينوف" عن وجودي في القنصلية واختبائي فيها.

غدت قضية اعتقالي على مدى سبعة أيام الشغل الشاغل للسياسيين في "بتروغراد"، و "طهران"، والقسطنطينية. وفي خاتمة المطاف تلقى السيد "كولوبينوف" تعليمات تقضي بإرسالي إلى الأناضول في حماية الهيمنة الروسية.

ولما كانت الشائعات تتردد عن خروجي وأنني ذاهب عن الطريق المفضي إلى "أورمية" ترصد لي القنصل التركي. وبينما كان "الحنطور"[7] الذي يمتطيه ممثل القنصلية سائراً على هذا الطريق جرى إيقافه وتفتيشه لمعرفة ما إن كنت مسافراً على متنه.

[7] - الحنطور: ضرب من العربات الخفيفة تجرها الخيول خاصة بنقل المسافرين.

بعد أن أمضيت ثماني ليال في القنصلية غادرت "أورمية" حالاً وقد تم خروجي من "أورمية" بريادة سكرتير القنصلية وتوجيهه وبدعم من "القوزاق" ورعايتهم. ولكننا بدل أن نتوجه إلى البحيرة كما كنا قد أذعنا الخبر تنحينا عن ذاك الطريق لتضليل عيون الجنود الأتراك ومراقبيهم، وفي اليوم الثالث وصلنا إلى "طوروس" وزرنا سيادة القنصل العام "ميلير". ولكنه ارتاب في أمري فكيف يكون عبدالرزاق رئيساً ومديراً للمراسم في السراي ثم ضابطاً في الجيش التركي ثم مطلوباً بشبهة من الحكومة التركية؟.

ولكنه –بتفهم عميق– أوصلني تحت حماية الجنود إلى "باكي شيمال" وبعد يومين –بريادة سكرتيره وصلت إلى "جولفا" وهناك أمضيت يومين ثم وصلوا بي إلى "تبليس". وهنا أذن لي د. س. "كوخانوفسكي" العالم العلامة في لغات الأمم والشعوب الشرقية أن أبيت في فندق "لندن".

في "تبليس" خيّل إليَّ أنني تحت أنظار البوليس السري.

بعد أحداث "أورمية" استمرت المسرحية الهزلية "كوميديا" التي جرت بيني وبين دولتي أمداً ثم وصلت إلى خاتمتها إلا أن هذه الملهاة "المسرحية الهزلية" استؤنفت بعد أن بدأ الأتراك يتعقبونني من جديد.

كان بيني وبين "شريف باشا"- الذي كان يصدر مجلة الحزب الراديكالي "مشروطية" ويناوئ جمعية "الاتحاد والترقي"- روابط وعلاقات في تبادل الرسائل فكنت أرسل أعداد مجلته ومنشوراته من أرض إيران إلى مناطق كردستان.

وإذ كان من المقرر أن يبدأ اجتماع لجنة "الائتلاف" في مدينة باريس، ويحضر هذا الاجتماع "اسماعيل كيتال بك" وكثيرون من الوافدين العرب والأتراك وآخرون غيرهم فقد كنت مدعوا إلى المشاركة في الحضور.

وبمباركة من د. س. "كوخانوفسكي" انطلقت مسافراً إلى باريس وفي الأصل لم أكن موالياً أو حليفاً لأي حزب من الأحزاب السياسية، وكانت غايتي الوحيدة هي أن أقدم خدمة لترقية الأكراد. ولما كاد منهج حزب اتحاد الليبراليين يقبل بالحكم اللامركزي فقد رأيت من المنفعة أن أسعى مناصرته وتأييده.

ولأن حكومة "الاتحاد والترقي" كانت قد ألقت جميع القوانين الانتخابية وراء ظهرها فقد صدر في اجتماعنا القرار الذي يقضي بضرورة العمل الجاد والسير حثيثاً لإضرام فتيل ثورة. واقترحوا أن يرسلوا إليَّ كل الأسلحة الضرورية.

وعلى الرغم من أنني كنت أعلم أنني سأتجشم متاعب كثيرة لإقناع الحكومة الروسية لإيصال السلاح -عبر أرضها- إلى

إيران، فقد تقبلت العرض وتحملت الأمانة كما كنت قد حملت على عاتقي توزيع المنشورات في تركيا بمفردي.

امتدت فترة إقامتي في باريس ثلاثة أشهر. ثم عدت بعد ذلك إلى تلبيس. في خلال هذه الشهور الثلاثة كانت الحكومة التركية عن طريق بعض الأقرباء والرفاق تعرض وتقترح علي بعض المناصب مثل: ممثل الدولة، والي، سيناتور،.. فأخفقت جميع محاولاتهم.

التمس وزير الخارجية التركية–من ناحيته– من السفير الروسي أن يمثل دولته ويعيدوني إلى القسطنطينية، فما كان من السفير التركي المقيم آنذاك في "بتروغراد" إلا أن قدم تأييده وموافقته.

وقد كانت الغاية من وراء ذلك أن يتصلوا بالعالم د. س. "كوخانوفسكي" ليخبرهم بالشروط التي سأطرحها للعودة إلى القسطنطينية فقلت لهم بكل صراحة ووضوح: ليس لدي شروط للمفاوضة ولن أملي شروطاً فليست لدى الرغبة في العودة ولن أعود بحال من الأحوال.

بعد أمد من الزمن اتصل السفير الروسي في القسطنطينية بحكام "تبليس" وأخبرهم بالمكيدة التي دبرتها جمعية "الاتحاد والترقي" التي أرسلت رجل بوليس يتعقب اثري لاغتيالي.

أصدرت الجهات الأمنية الأمر إلى رجل البوليس "ميكابيريدز" وكلفته بمتابعة مراقبتي خطوة خطوة لحمايتي والحفاظ على حياتي. لم يتحقق لهم اغتيالي لأن رجل البوليس كان قد اشترط عليهم بعد انجاز العمل والانتهاء من أمر الاغتيال أن يلوذ بالقنصلية الرئيسية ويختبئ فيها بَيْد أن القنصل العام لم يوافق على هذا الشرط فعاد رجل البوليس إلى القسطنطينية. وكان مصدر هذه المعلومات رجل مسلم من أصدقائي يقيم في "تبليس" وقد سمعها من القنصل التركي في "قارص" فنقلها إليَّ بحذافيرها.

كانت الحكومة التركية قد استنفرت كل طاقاتها لملاحقتي وكانت الوزارة الروسية للأعمال الخارجية بدأت ترتاب في شخصي وحاولت الحصول على معلومات عني من د. س. "كوخانوفسكي"، ومع أن المعلومات التي حصلت عليها لم يكن فيها ما يسيء إلى سلوكي فقد بقيت تحت أنظار البوليس السري وهذا الأمر كان يساهم في حمايتي اذا ما حاول أحد مّا أن يغتالني.

في شهر سبتمبر/أيلول من عام ١٩١٢م حضر سيد طه– حفيد الشيخ عبيدالله– إلى "تبليس" لنقوم بعمل مشترك، ولهذا الغرض خرجنا معاً إلى "خوي" حيث أفتتحت فيها القنصلية الروسية.

عندما وصلنا إلى الخليج الفارسي ظن أحد عملاء الحكومة التركية اعتقد –وكان أرمنياً– أننا نتوجه إلى "خوي"، فرفع ملاحظته إلى القنصل التركي في "خوي".

وبعد أن وصلنا ليلاً إلى "خوي" استتب بنا المقام في "كاروان سري". حضر إلينا سكرتير القنصلية التركية برفقة ضابط وبعض الجنود وتحدثوا إلينا باللطف والحسنى رجاء أن نذهب للسكن في القنصلية التركية. فلما أدركنا أننا واقعون تحت سيطرتهم ولا مندوحة من مخالفتهم وخشية أن يقهرونا على الذهاب إن أبينا ذلك خرجنا معهم طائعين.

في القنصلية أولونا أهمية كبيرة واحتفوا بنا، ففي الوقت الذي كان الجنود يؤدون أعمالهم في الخارج كان الضابط متفرغاً لخدمتنا. ولما سُئلنا عن الجهة التي نزمع السفر إليها لم نكشف لهم عن حقيقة أمرنا وكتمنا عنهم خطتنا وقلنا لهم: إننا متوجهون إلى "وان".

في اليوم التالي أرسلونا برفقة ضابط وخمسة عشر تابعاً من الجنود إلى قلعة "جاريك" حيث تربض فرق من جنود الجيش.

وبينما نحن سائرون في طريقنا إلى قلعة "جاريك" انتهزت الفرصة واستطعت إيصال نبأ أسرنا إلى "سمكو" في "كوتور" وكذا إلى عشيرة "كاردار" في "سالماس" آملاً في الإسراع إلى نجدتنا وتحريرنا.

إن أمر اعتقالنا في منطقة كردية أفرز متاعب جمة، ولأن الأتراك كانوا مذعورين بسبب هذا الإجراء فقد استدعوا – لمزيد من الأمان– جنوداً للحضور إلى "خاناسور" المكان الذي كانوا يمضون بنا إليه.

في هذه الأثناء بادر "سمكو" الرجل الصنديد إلى الخروج إلى وادي "سيرخيل" بأربعين فارساً وكمنوا هناك /٢٤/أربعة وعشرين ساعة في انتظار قدومنا عليهم.

من قلعة "جاريك" حتى "خاناسور" كان أحد الضباط يسد الطريق بثلاثين عسكرياً تركياً وكان من ورائنا يتقدم نحونا خمسة عشر آخرون.

في وادي "سيرخيل" وقع سيرنا تحت وابل رصاص "سمكو" الذي أرغم الأتراك على الاستجابة والإذعان له، فجردهم من كل أسلحتهم وأراد أن يقتلهم جميعاً، ولكنني عارضته ومنعته من ذلك.

ثم أن نجدة عشيرة "كاردار" وصلت إلينا بعد أن كنا قد تحررنا ولكنهم حين شاهدوا "سمكو" رجعوا من حيث أتوا إذ كانت بينهم وبين "سمكو" أمور يختلفون عليها.

ولشدة فرحنا بالنجاة من الأسر نسينا أمر أولئك الذين كانوا يسيرون في أعقاب الأسرى باتجاه "كوتور" ولم ندر أنهم

سيكمنون لنا ويتربصون بنا في الوادي فعندما قدمنا عليهم هاجمونا.

كان إلى جانبي فتى كردي نبيه ورشيق قتل في الحال، أمّا مقاتلونا الحماة فقتلوا ضابطاً وجندياً من الأتراك.

في تلك الليلة وصلنا إلى "كوتور"، ولما ذاع نبأ هذا الحدث ذهب القائد العام لفيالق "وان": "جبريل باشا" إلى "السراي" واتصل ببعض المثقفين والمتنورين الأكراد ليحرروا رسالة باسم الحكومة بغية إصلاح البين تدعوني فيها للعودة إلى "وان" ويرسلوها إليّ.

في ذلك العهد كان القنصل الروسي السيد "تشيركوف" والوالي الفارسي في "خوي" قد بدأا يتبادلان كتابة الرسائل عني.

وكانت لي معرفة بجبريل باشا أيام كان في القسطنطينية. إلا أنني حين كنت مقيماً في "وان" مع رئيسه "مخلص باشا" لم نفكر في زيارته للتسليم عليه ولو مرة واحدة لأن مرتبتي كانت أعلى من مرتبة "جبريل باشا"، وكنت أتوقع مجيئه إليَّ أولاً لتحيتي. ولكنه لم يأتِ. إلاَّ أنه أرسل إليَّ فيما بعد من يحمل إليَّ اعتذاره عن تأخره في المجيء إلي كما نقل هذا الاعتذار إلى "مخلص باشا" رئيس "جبريل باشا" سابقاً وعبر فيه عن تقصيره. وقد أضفى عليَّ صفة الأمانة والثقة باسم الدولة، وأكّد أن الدولة متأهبة لقبول آرائي ومقترحاتي. بالطريقة التي علمنا

فيها أنّ نبأ أسرنا وصل إلى القسطنطينية علمنا أن الأوامر صدرت من هناك إلى "وان" لإعداد المحكمة العسكرية والتوصل إلى الحكم عليَّ بالإعدام. ولكننا بدل أن نتوجه إلى "وان" خرجنا إلى "خوي" بريادة "سعيد بك" ذي الشهرة الواسعة، الطيب الذكر و "مير محي" اللذين غادرا الأراضي التركية وقاما بانتفاضة في وجه الحكومة التركية.

خرج "سيد طه" مسافراً إلى "أورمية" للقاء السيد "كُولوبينوف". أما أنا فمكثت في "خوي" عند السيد "تشيركوف". بفضل شكايات السفير الروسي في القسطنطينية، ووصول الفيالق العسكرية إلى "خوي" وكذا بفضل الفترة الوجيزة التي قضاها السيد "تشيركوف" بين ظهراني الأكراد ونال الشهرة الواسعة والصيت الحسن–تخلى الأتراك عن الأرض الإيرانية وارتدوا على أعقابهم.

أمضيت فترة تفوق عاماً في "خوي". باستثناء بعض المرات التي كنت أذهب فيها إلى "أورمية" للتباحث مع السيد "كولوبينوف" بقصد إرساء قواعد للإصلاح بين أكراد "تركيا وإيران" وبين روسيا.

وبفضل جهود السيد "تشيركوف" التي يُشكر عليها– رسخنا في "خوي" الأساس لمدرسة تضم ثلاثين تلميذاً.

كانت الأموال والنفقات التي تصرف على المدرسة تأتي من مصادر كردية وكانت تحت إشراف وحماية القنصلية الروسية. وفي هذه المدرسة كان الطلاب يتلقون الدروس باللغة الكردية والروسية، وكان لسيد "تشيركوف" على دراية بفحوى الرسائل المتبادلة بيني وبين زعماء الأكراد ابتداء من "ماكو" وانتهاء بولاية الموصل وكذا تلك الرسائل التي وجهتها إلى "شيخ بارزان" ووجهها إليَّ.

في تلك الحقبة ظهرت ثماني عشرة عصابة من قطاع الطرق الأكراد في ولاية "وان". وكانت هذه العصابات مصدر قلق وخوف لدى الحكومة التركية وكان هذا الخوف عندها يبلغ أوْجَه حين تعلم إنني قريب من الحدود خشية انضمامها إلينا فكانت دائمة التشكي مني ولا تكف عن نقل شكواها إلى "طهران" و "بتربورغ" سعياً وراء إقصائي عن الحدود.

أرسل إليَ "تحسين بك" والي "وان" كتاباً بواسطة العناصر الأمنية للسلطان يتضمن تكليفي بالعودة إلى تركيا. وبعد أن ضربت صفحاً عن هذه الدعوة ورفضت أمره. حاول "تحسين بك" بالتضامن مع والي "هكاري" "جودت" الذائع الصيت قتلي وقتل جميع رفاقي وحلفائي، وكان السيد "تشيركوف" عالماً بهذه الأحداث ملماً بها بحذافيرها.

في تلك الفترة كان البين كولونيل "إسماعيل صفوت بك" الذي كان حاكماً عسكرياً على مدينة القسطنطينية في زمن "الاتحاد

الليبرالي" حضر إلى "خوي" بقصد زيارتي واللقاء بي ثم سافر ليلتقي بشيخ بارزان.

كان الكابتن "خيرالدين برازي" أحد أولئك الذين أسسوا قواعد مشروع الثورة الكردية، يقيم معي في "خوي" وكان في حوزته أوراق تخص الثورة وتحضُّ عليها. وكان ينبغي له الذهاب إلى "بتليس" بقصد الدعاية للثورة. جاء إليّ مفوّض البوليس التركي: "حسين أفندي" مع نفرين من رجاله وفي نيتهم القضاء عليَّ، وكان هؤلاء – قد ذهبوا– في البدء إلى رجال من عصابة "مير محي"، ولكي يركن إليهم وتزداد ثقته بهم رسوخاً فقد هاجموا "البريد" التركي للظهور بمظهر المعتدين ونفياً للشكوك. ثم أنهم جاءوا إلي في معية "مير محي" وهو جاهل كل الجهل بما يضمرونه.

لم أكن أثق بـــ"حسين أفندي" فكان لا يقترب مني ويباعد ما بيننا لذلك لم تسنح له فرصة مؤاتية لتحقيق مرامه، إلا أنه استطاع أن يكسب ثقة الكابتن "البرازي" والقبول به دليلاً حيث سار: معه إلى "بتليس" يرشده إلى الطريق وأصبح ضحية هذه الثقة الجوفاء، ففي الطريق قُتل الكابتن "البرازي" بيد الرجل الشركسي" "حسين أفندي" غيلةً وغدراً، وبعد أن انتهى من قتله استولى على الأوراق التي كانت في حوزة الكابتن وقدمها إلى والي "وان": "تحسين بك". وبدأت جميع الصحف التركية في كيل المدح والإطراء للوالي والثناء عليه على صدر صفحاتها.

أما "جودت بك" قائد القوات التركية في ولاية "وان" – المرابطة في الجبهة الإيرانية التي كانت تقف في وجه الروس– فقد ذهب إلى حليفي: "شكر آغا" رئيس عشيرة "كراف" بصفة ضيف، فلما خرج "شكر آغا" وابنه وبعض رجاله لاستقباله قُتل جميعهم غدراً.. أما المسلحون الأكراد فقد قتلوا من تلقاء أنفسهم بعض الجنود الأتراك فدبت الفوضى وساءت الأحوال.

في "خوي" عرّفت نفسي بقائد العسكر الروسي في اذربيجان الجنرال: "فورونتسوف" والكولونيل "نالغييف" والكولونيل "تريدنسكي" والجنرال "شتابي كابيتن كاتوفيتش"، وقد كانت لي معاهدة صداقة وروابط بضباط آخرين.

لقد كانت أعبائي السياسية أينما رحلت وأينما حللت أقوم بها بمفردي وادفع ثمنها الباهظ من كيسي (جيبي= من مالي الخاص). ولكن حين شبت الحرب بين ايطاليا وتركيا وخرجت الشرارة الأولى في "البلقان"، فقد تحملت المصانع التي كنت أتعامل معها خسائر فادحة فانعكست هذه الأزمة على رؤوس أموالي وألحقت بها الضرر. باستشارة من السيد "تشيركوف" ذهبت إلى "بتروغراد" وهنا كانت لي معرفة بـــ "كليم" (رئيس القسم الإيراني) والسيد "بيرسياني" (الموظف في وزارة

الأعمال الخارجية) والكنياز[8] "تروبسكوي" (وكان لنا سابق معرفة ببعضنا عندما كان سكرتيراً في القسطنطينية) وأنشأت علاقة بالسيد "أورلوف" (القنصل العام في طوروس). وفي "بتروغراد" قدمني السيد "زينوفييف"(العضو الاستشاري في الدولة) إلى وزارة الأعمال الخارجية وعرّفها بي.

تم الاعتماد على السيد "أولفرييف" لينهض هو و "كليم" للاهتمام بقضيتي ومعالجتها.

في البدء تركز اهتمامهما بآمالي التي كانت تربطني بالحكومة التركية وبعد ذلك اقترح السيد "كولوبينوف" أن أقيم في "شنو" في الجنوب من "أورمية"، بقصد استمالة الأكراد واتخاذهم حلفاء لروسيا.

منذ الساعة الأولى التي أنشأت فيها علاقات بالشخصيات الرسمية والمدنية الروسية ما توانيت أو تقاعست مرة واحدة عن الجهر بأن الخدمات التي أقدمها لروسيا ليست إلا ابتغاء تقدم شعبي وتطوره ورقيّه.

إن ما أدعو إليه هو تحرير كردستان واستقلاله تحت الاشراف الروسي لأن روسيا هي الدولة الوحيدة المتطورة بين الدول المجاورة لكردستان ومن بوّابة هذه الدولة يمكن للثقافات أن تنفذ إلينا أسهل من دخول ثقافات الدول الأخرى. ولتحقيق هذا

[8] لقب مثل البارون. الدوك..الخ.

المشروع فإن الأهمّ من كل هذا وذاك أن نطرح النير التركي عن كواهلنا، وعلى أسس هذه المقاصد والغايات تكون بيننا وبين روسيا منافع مشتركة.

تتجه رغبتي في اتخاذ الأحرف الروسية أساساً وقاعدة للكتابة الكردية، وأن ننشئ المدارس الكردية في "قارس" و "يريفان" بأموال الدولة.

وأن نفتح مثل هذه المدارس في "كردستان–إيران" من جيبنا وحرّ أموالنا، وأن نوفد الطلاب الكرد إلى روسيا لترجمة بعض الأعمال الأدبية الكردية إلى اللغة الروسية وبعض الأعمال الروسية إلى اللغة الكردية. وأن نحدث في جامعة اللغات الشرقية في "بتروغراد" كلية لتدريس اللغة الكردية وآدابها، ونؤسس مجالس مشتركة بين الأكراد والأرمن لا زالة الأحقاد من بين القوميتين وتصفية أجوائهما ودعوتهما إلى التآلف والمحبة. كل هذا رحبت به وزارة الأعمال الخارجية بكل أريحية وطيبة نفس. وتم التباحث فيه، وجعلتني الوزارة أن اطمئن إلى أن الأكراد سيستفيدون من الإصلاحات التي وعدت بها تركيا والدول الأوروبية حيث ستطبق في الولايات الشرقية أيضاً.

في هذه الظروف حدثت انتفاضة في تبليس، خرج "شيخ بارزان" مع /٣٠٠/ ثلاثمائة نفر من مريديه إلى الأراضي الإيرانية.

وعندما سئلت في الوزارة عن انتفاضة "تبليس" وعن رأيي في الشيخ "البارزاني" قلت لهم: إنه رجل رفيع القدر وشخصية مهمة، يستحق أن تؤازروه وإلا فإن الانتفاضة سيكون مآلها إلى الهزيمة سريعاً.

قال لي "كليم" ذات مرة: إن أمين السفارة التركية يرجو أن استفسر منك لماذا كان جوابك مقروناً- دائماً- بالرفض؟.

عاد السيد "أورلوف" إلى "طوروس" وكان ينبغي للسيد: أولفيرييف" أن يرجع إلى "ماكو" ليشغل منصب القنصل. وفي ذلك الوقت بتاريخ ١٩١٣م رجعت إلى "تبليس" لتنفيذ برنامجي على غرار ما اتفقت عليه مع الوزارة.

التقيت عَرَضاً بالمتنور "كراف فورونسوف- داشكوف" الذي ترك لدي ذكريات رائعة لحسن أخلاقه وطيبة نفسه واهتمامه بي وقد جرى مثل هذا اللقاء مرة أخرى. وقد كنت مأخوذاً بأسئلته الدقيقة ورصانة فكره.

في مراتٍ كثيرة التقيت مصادفة بمعاونيه العسكريين والمدنيين مثل الجنرال "ميشلاييفسكي" والسيد "بترسون" وكذا الموظف المسؤول القفقاسي السيد "رودولف" كما صادفت رجالاً آخرين من المسؤولين.

أرى أنَّ من الأهمية بمكان أن أتوقف هنا باهتمام لدراسة شخصية حاكم "ماكو": "مرتضى كولي خان" و "سعيد بك" الذي أعدم مع خادمه بالحكم الصادر على "كولي" وبفضل الجهود التي بذلها السيد "تشيركوف" في "خوي" بالتضامن مع الأكراد كنا نرتب الأمور لـــ"سمكو" في قلعة "جاريك" ولـــ"سعيد بك" في "موخور".

ثم جاء هذان بفرسانهما لحمايتي وحماية الجنرال "فوروبيانوف" كرجال "القوزاق" الحماة حتى وصلنا إلى مكاننا.

بعد أن تولى "شجاع الدولة" منصب الحاكم في "طوروس" رأت الجهات الروسية- لهدف سياسي- الأهمية في وضع غرب أذربيجان من "ماكو" إلى "أورمية" تحت نفوذ القائد.

ولما رأى "شجاع الدولة" أن دعم روسيا بالنسبة له أمر ضروري ظل مطمئناً لذلك حتى النهاية.

ولكن القائد- بعد أن جلا الأتراك عن الأرض التي كانوا يحتلونها وضع يدها عليها ووقعت تحت تصرفه. ولكي يبسط سلطانه على مزيد من الأرض ويوسع منطقة حكمه ويمنع الروس من استيطانها بادر إلى محالفة الأتراك.

كان القائد مستاءً من وجودي في "خوي" منذ اليوم الأول لظهوري هناك، لأنه لم يكن يريد أن يشاركه أحد مّا في زعامة

أكراد تركيا ويخشى أن أنافسه عليها فزعم بواسطة أحد رجاله المدعو "حاجي شجاع خان"– للسيد كوخانوفسكي بأنني عميل تركي، وبعدما ذهبت إلى "تبليس" بلغني هذا النبأ فذهبت إلى السيد: "كوخانوفسكي" وفاجأني وجوده في مجلسه فابتدرته بالسؤال عن السبب الذي دفعه إلى هذا البهتان وانتظرت جوابه، فتظاهر بالدهشة وأنكر ذلك كل الإنكار. إلا أن السيد "كوخانوفسكي" شهد على بهتانه وجابهه به. فقلت لـــ"حاجي شجاع": لا تتكر.. فإن ثقتي بـــ"كوخانوفسكي" كبيرة.

حاول "مرتضى كولي خان" التزلف إلى السيد "تشيركوف" وأن يتخذه صديقاً، ولتحقيق هذا الأرب أوفد "حاجي شجاع" سراً إلى مكتبه ليقدم له الهدايا ويعرض عليه الأموال. إلا أن "تشيركوف" وهو الرجل الشريف الأبيّ رفض عرضه وطرده من غرفته طرداً مهيناً.

كانت علاقات "مرتضى كولي خان" بوالي "وان" تتم دائماً بتدبير وتمهيد من "علي بك" "حيدرانلي". وفي أحيان كان يرسل سكرتيره: ميرزا سليمان إلى "بيازيد"، وكانت هذه الأخبار تأتيني عن طريق الأكراد.

كان سعيد بك يرسل أقرباءه إلى "موكس" إلى بعض أهله فكانوا يعودون إليه بمعلومات جمة وجليلة عن الحكومة التركية وحكامها تثير سخط الحاكم، لذلك عزم على قتل "سعيد بك".

بينما كان الحاكم غائباً عن مقره في جولة سياحية في أوروبا، هاجم رجال أكراد من العشائر الملية أرض: "سعيد بك" وقتلوا رجلين من أقاربه. ثم إن الرجل الفاضل السيد "تشيركوف" ذهب مؤزراً بالجنود إلى هناك وأنقذ "سعيد بك"، واعتقل رجالاً من رؤساء المهاجمين فأقروا واعترفوا أنهم لم يهاجموا إلا بأمر من الحاكم وشهدوا على أنفسهم في كتاب.

نحن –جميعاً– نعرف أن الحاكم باع تلك البنادق والذخائر التي كان يحصل عليها من الدولة الروسية إلى الأكراد وفدائيي "طوروس" بمبالغ باهظة. وبينما كان الحاكم يتجول سائحاً في أوروبا استلم من ألمانيا عدداً من البنادق بصفة هدية وكان ينبغي لهذه البنادق –بموافقة الحكومة التركية– أن تشحن عن طريق "ترابزون" لتصل إلى يده فيما بعد.

بعد أن عاد الحاكم إلى "ماكو" أغار مرة أخرى بستمائة/٦٠٠/ نفر على "سعيد بك". فاضطر السيد "تشيركوف" أن يخرج بقوة عسكرية لمساندته والدفاع عنه. ولكنه كان قد تأخر في الوصول، فلما وصل إلى المكان رأى أن "سعيد بك" وجمعاً من رجاله قد قتلوا ونهبت داره.

وقد أسند أمر التحقيق في هذا القتل إلى قنصل "ماكو" السيد "أولفرييف". وكانت الرسالة التي كتبها رئيس البوليس في "وان" التي يدعو فيها القائد إلى اغتيال "سعيد بك" قد وقعت في يد السيد "أوليف". وكانا قد تواعدا على ذهاب القائد إلى "بيازيد"

لتأليب الكرد والفرس وإثارتهم لمقاومة القوات الروسية، ولكنه قبل أن ينهض بمهمته ويحقق مأربه أرسل إلى روسيا.

ولكي تقوم جمعية "الاتحاد والترقي" بمناهضتنا إعلامياً بدأت بإصدار صحيفة في "وان" تحت عنوان "الجمعية" –اختصاراً لاسم جمعية الاتحاد والترقي–. وشعار ثابت عبارة عن كلمة "جالديران" للتذكير بمعركة "جالديران" التي انتصر فيها السلطان سليم ودحر فيها الشاه "اسماعيل الصفوي" ولقد سلمت أعداداً من هذه الجريدة إلى يد السيد "تشيركوف" المشحونة بكلمات العداء والبهتان، وفيها تنويه وافتخار بالخطوات التي اتخذها القائد لأنه كان يسعى من وراء ذلك إلى إخراج الروس من بلاده.

وبعد أن انتهيت من سرد بعض المعلومات الهامة عن "مرتضى كولي خان" و"سعيد بك"، عدت إلى استئناف كتابة ما كنت بصدده.

قبل أن أخرج من "تبليس" بثلاثة أيام وصلتني رسالة من القسطنطينية، جاء فيها أن جمعية "الاتحاد والترقي" أرسلت إلى روسيا وإيران شخصاً وهو ضابط برتبة "كابتن" في الجيش التركي، يدعى "عزيز بك" للبحث عني والإقدام على قتلي إذا عثر عليَّ. إنه في /٣٥/ الخامسة والثلاثين من العمر على وجهه أمارات وآثار لداء الجدري ربع القامة، يميل إلى البدانة، ومعه /٢٠٠٠/ الفا "فونت" تركي كما ورد في الرسالة أن

وزير الداخلية: طلعت بك سيسافر رئيساً للوفد إلى "يالطة"- وهي مدينة قرب البحر الأوسط ومكان للاصطياف- للتسليم على الإمبراطور وسوف يحاوره، ويحاول إقناعه بشتى الوسائل لاعتقالي وتسليمي إلى يده، ونقلت هذا الخبر إلى أصحاب القرار.. وكانت أجهزة "شتابا" في "تبليس" على علم بأن الأتراك قد أرسلوا من يلاحقني. وبناءً على قرار "بتروغراد" سارت خطوات حثيثة للعمل على وصولي إلى "طوروس" دون إبطاء.

لدى عودتي اهتم الكابتن "إيفانون" بأمري فأرسلني في سيارة برفقة جماعة من أجهزة الـــ"شتابا" إلى "ناف تولوخ" (منطقة قرب مدينة تبليس) للسفر على القطار المتوجه إلى "جولف".

وقد ذهلت بعدما وصلت إلى "طوروس" أن كلّ شيء قد تبدل. علمت أن السيد "أورلوف" بدل أن يحاول إسكاني في "سوج بولاخ" "مهاباد" أو "شنو" قد تبلغ أمراً أن يبدو لقاؤنا سراً.

أرسلني "شجاع الدولة" إلى "طوروس" في ضيافة والي المدينة. كنت مكرماً في بيته، ولكنني كنت فاقداً لحريتي.

في طهران بدأ التباحث في أمري بين الدبلوماسيين الروس والترك والفرس بشكل جاد. فكان السفير التركي يسعى بكل الوسائل لإعادتي إلى تركيا ويرفض أن يكون سكني في طهران.

وكانت الدبلوماسية الروسية تفضل استرضاء حكومة إيران لتوافق على إقامتي في "تبريز".

وهكذا فقدت ذاك الحق الذي كان يخوّلني للإقامة قريباً من الحدود. ولم أكن أستطيع أن اكتم السيد "أورلوف" واخفي عنه أنهم قد أطلقوا العنان لعملاء الترك والألمان في الدعاية ضد روسيا والاستمرار في ذلك، وأنهم يقطعون عليّ السبل ولا أستطيع مزاولة العمل الذي تترتب عليه المنفعة لنا ولكم وما دامت الأحوال على هذا الشكل فمن الأفضل أن أعود إلى "تبليس".

لفت السيد "أورلوف" نظري إلى أنني إن أظهرت عدائي للأتراك فإنه لن يستطيع أن يكون ظهيراً حيث نشأت بين روسيا وتركيا معاهدات ومواثيق طيبة.

لقد سرني أن استميل شيخ "بارزان" هذا الرجل ذي الشهرة الواسعة واكسب تأييده، الذي استطاع دخول "أورمية" بعد معارك بين الجنود الأتراك وبين أتباعه المقاتلين (أي أنه دخل أورمية مع رجاله). كان يخيّل إليّ أن روسيا ستكون له عوناً ومساعداً، إلا أن القنصل الروسي في "أورمية" كان يخشى أن يحامي بشكل علني عن الشيخ "البارزاني" أو يقدم له مؤازرة فاضطر الشيخ إلى التخفي عن أنظار القنصل التركي. وكان من العبث أن أنبه الحكام الروس بأن مثل هذا التحالف الروسي

التركي ستسقط الهيبة الروسية من أعين الأكراد وسيعتقدون أن الأتراك أقوى من الروس وأعظم بأساً.

لقد أبدى البرلمان الإنكليزي عن استيائه من التدخل الروسي في أمور إيران وشؤونها فأخرجت إنكلترا القسم الأكبر من قواتها العسكرية من الأرض الإيرانية. وكان الروس أيضاً يستعدون ليفعلوا هذا الشيء.

وكانت روسيا تتحرك بخطوات حذرة خشية من إثارة السخط الألماني واستيائه فكان هذا السلوك باعثاً على تقليص النفوذ التركي في إيران.

علمت من السيد "أورلوف" أن القنصل التركي في أذربيجان رصد مكافأة بقيمة /٢٠٠٠/ألفي "فونت" تركي لاغتيالي.

في ذلك الوقت أثيرت الشبهات حول رجل تركي في "أورمية" وارتابت السلطات في أمره فربما كان يحاول البحث عني ليقتلني فأعْتِقِلَ وجيء به إلى "تبريز" فاستدعاني "شجاع الدولة" فذهبت إليه لأشاهد الرجل بعيني وألقي عليه بعض الأسئلة واعرف منه شيئاً من السر. وما أن رأيته حتى تأكد من سحنته أنه هو ذاك الرجل بعينه الذي جاءت أوصافه في رسالة رفيقي التي وجهها إليّ من القسطنطينية. لما سألته عن أحواله قال إنه كان مديراً لدائرة الـــ"تلغراف" وهو الآن عاطل عن العمل، وقد حضر إلى إيران لتأسيس مدرسة.

كان قد تتبع خطواتي من "ترابزون" في طريقي إلى "باتيم" و "خوي" و "سالماس" ثم إلى "أورمية" حيث اعتقل. لم أصدقه ولم أقتنع بحديثه، لأن عامل الـــ "تلغراف" يتقاضى راتباً يفوق /١٠٠/مائة روبل في الشهر فكيف يقنع براتب التدريس الشهري الذي لا يتجاوز /٣٠/ثلاثين روبلاً. لكن "شجاع الدولة" لم يرغب في ظهور هذا التركي معتقلاً فتركه حراً طليقاً.

إن السيد "أورلوف" الذي كان كثير الحدب عليَّ عطوفاً، بذل كل شيء من أجل سلامتي والحفاظ على حياتي حتى أوصلني بأمان إلى "تبليس".

عندما كنت أقول لهم سيأتي حين من الدهر تكون هذه البلاد مكاناً للصراع والحروب ولهذا السبب ينبغي لروسيا أن تستبق الأحداث فتخطو خطوات متقدمة لمساعدة هذا الشعب "الكردي". ولكنهم لم يكونوا يعيرونني آذاناً صاغية.

في شهر أيلول عام ١٩١٤م بدأت الحرب بين الدول الأوروبية، ولم أكن أصدق أن تركيا ستشارك في هذه الحرب، بيد أنَّ الرجل السياسي السيد "ستوليسين" (كان صديقاً لي منذ أيام القسطنطينية) كان يقول لي أن "تركيا الفتاة" ستتورط في هذه الحرب. وبعد ثلاثة أشهر تحققت أقوال السيد:"ستوليسين" لأنه كان على معرفة جيدة بـــ"تركيا الفتاة".

سُمح لي بناء على رغبتي بالانتقال إلى "ماكو" حيث لبثت ستة أسابيع ضيفاً على السيد "أولفرييف". وهناك تمت معرفتي بالجنرال "نيكولاييف" وضباط كثيرين في لوائه "فرقة عسكرية" وكذا بالسيد "بيلياييف" وكان ممن شاركوا في لجنة رسم الحدود بين تركيا وإيران.

في فجر الليلة التاسعة عشرة من فجر اليوم /٢٠/ العشرين من شهر تشرين الأول عام ١٩١٤م أخبرني السيد "بيلياييف" وأعلمني أن الروس قد أعلنوا الحرب على تركيا. وفي تلك الليلة بالذات خرج الجنرال "نيكولاييف" بقواته العسكرية لمؤازرة القوات التي تحاصر "بيازيد" ليتابع الذهاب بعد ذلك إلى "أباخ" و"بيركري".

قبل أن يزحف "نيكولاييف" بقواته كان قد أوصى "بيلياييف بإبلاغي أمر الاستيلاء على "أباخ" ووضعها تحت يدي وأن الأمير تومان "أمير أوفاجيك" قد أصدر قراراً بهذا الصدد لتقديم العون لي.

وكان الجنرال. إضافة إلى ذلك- قد ترك لديه مبلغ ألف /١٠٠٠/ روبل أمانة لتصل إلى يدي وكذلك /١٠٠/ مائة بندقية وكمية من الذخيرة "الرصاص".

بعد مرور أربعة أيام خرجت من "ماكو" إلى "كارا-عين". وعندما كنا نتقدم جميعاً إلى المعسكر علمنا أن الروس قد

احتلوا "بيازيد"، وكان الجنرال "نيكولاييف" يطالبني بالإسراع في الشروع بانتفاضة "أباخ".

في ذلك المساء عدت إلى معسكر "كارا–عين" لممارسة عملي، وفي خلال أربعة أيام جمعت حولي من أكراد "حيدرانلي" وفرسان المرحوم "سعيد بك" ورجال من العشيرة "الملية" /٣٠٠/ثلاثمائة فارس. وفي /٢٨/الثامن والعشرين من شهر أكتوبر تشرين الأول سرنا على طريق مرتفعات "ديليكان" المغطاة بالثلوج ودخلنا في ما خلف الجبل. وفي الليل عبرنا الحدود التركية وأغرنا على قرية "شيخ سوجو". ولم يكن قد بقي بيننا وبين الجنرال "نيكولاييف" سوى قرية "سند" فكان علينا أن نحتلها كي نصل إلى موقع الجنرال. كانت القرية في حراسة مئات الجنود المشاة الأتراك وخمسين رجالاً من الخيَّالة "الفرسان". وعند حضورنا إلى "أباخ" كان علينا أن نكون على حذر من أن يباغتنا بالهجوم ألف فارس من فرسان "الحميدية".

في /٢٩/التاسع والعشرين من شهر أكتوبر /تشرين الأول/ وصلنا إلى قرية "جوبوكلو" الواقعة على مسافة أربعة فرستات (ان فرست كلمة روسية تعادل كيلو متراً تقريباً ١,٠٦٦٨كم). حيث كان هناك "نيزارآفى"، وكان أكراد "أباخ" ينظرون إلينا كما ينظرون إلى أصدقائهم ويظهرون لنا إمارات التكريم والترحيب بنا. ويَعِدُوننا بالتأييد والمؤازرة فيما إذا وصلت قوات روسية لدعمهم في مقارعة القوات التركية.

كانت خطتنا لليوم التالي بحذافيرها كالآتي:

كان على "الحيدرانليين" أن يحتلوا قرية "سند" وعلى فرسان "سعيد بك" احتلال الـــ"كازيرما"[9]،(ثكنة عسكرية) وكان عليّ وعلى أفراد العشائر الملية تقديم العون والدعم لأولئك وهؤلاء.

وفي اليوم التالي نفذنا خطتنا وبرامجنا. كنا نهاجم ونتقدم تحت وابل رصاص العدو. دحرنا حامية قرية "سند" فولت هاربة باتجاه الغرب فاستولينا على القرية وعلى الموقع العسكري وغنمنا بعض الوثائق والمستندات وكمية من أعلاف الأحصنة وعدداً من البنادق التي خلفها الأتراك وراءهم.

لم نكن نعرف شيئاً عن الخسائر التي لحقت بعسكر العدو أما نحن فقد تكبدنا جريحين في صفوفنا وأربعة أحصنة قتلت بنيران البنادق. وفي الحال كلفت أحد الضباط أن يحمل الوثائق والأوراق التي وقعت تحت أيدينا مشفوعة برسالة، وكان عشرون فارساً يرافقون الضباط في هذه المهمة– إلى الجنرال "نيكولاييف". وكنت قد نوهت في الرسالة بخطط عملي ورجوته فيها إنفاذ ما اتفقنا عليه من الوعود، وتزويدي بالذخيرة بالسرعة القصوى.

كان بعض أقاربي قد وصلوا إلى "قزل دز" حيث يقيم الجنرال "نيكولاييف". إلا أن رجال الاستخبارات كانت قد اشتبهوا بهم

[9] - كلمة من أصل ايطالي تعني مقر تجمع الجنود والعساكر (سكنة عسكرية).

واعتقلوهم وجردوهم من أسلحتهم لمعرفة ما إذا كانوا من الأمراء. وكان الذي اعتقلهم ضابط من "القوزاق" وصل خبر أسرهم إلى الجنرال "نيكولاييف" استدعاهم إلى مقره ثم أصدر أمراً بإعادة أسلحتهم إليهم وتسريحهم. وبعد أربعة أيام عاد أقربائي إليّ حاملين جواب الجنرال الذي يوجهني إلى القنصلية الروسية في "ماكو" والمطالبة بالذخيرة. وقال لي ضابطي- علاوة على ذلك- أن الجنود الروس قادمون- ولكن وأسفاه- هل كان لدي من الوقت ما يتيح لي أن أطلب الذخيرة من "ماكو" في الوقت الذي كانت كتيبة نظامية من الجنود المشاة وألف فارس من فرسان "الحميدية" يتربصون بنا على مسافة ثمانية كيلو مترات وهم مزودون برشاشين ومدفعين. وأملاً في وصول قوات الجنرال "نيكولاييف" والالتحاق بنا قررنا الخروج من القرية. ولكي نضمن طريقاً للعودة أصدرت أمراً بتكليف مائة نفر من أقاربي للسيطرة على الطريق العام وجميع الدروب والممرات المفضية إلى "إيران". وفي الليل أرسلت كوكبةً من الفرسان لمهاجمة الحراس "العسس" الليليين الأتراك وفي اليوم التالي زحف باتجاهنا مشاة من الجنود الأتراك. هاجم الأعداء أقربائي الذين كانوا يسدون الطرق ويحرسونها. واستمر الجنود المشاة في الاقتراب منا وبعد معركة دامت ثلاث ساعات لاذوا بأكوام الحشائش على بعد ثلاثين متراً واختبأوا خلفها فاضطررت إلى إصدار الأمر بالتقهقر. صمدنا

لهجوم العدوّ خمس ساعات، وبمشقة بالغة اتخذنا الطريق الجبلي المغطى بالثلوج للسير حتى وصلنا إلى قرية "أوفاجيك".

في هذه المرة تكبدنا خسارة خمسة قتلى وتسعة جرحى ومن الأحصنة قتل خمسون /٥٠/حصاناً أو أنها نفقت بسبب الإنهاك والإرهاق. وفقدنا /٣٠٠٠٠/ثلاثين ألف رصاصة وخمس عشرة بندقية.

عندما كنت في "أباخ" كنت أقول للأرمن المقيمين إن حكومة الإمبراطور الموالية قد أصدرت أمراً ليعيش الأرمن والأكراد معاً في إخاء واستقلال وسيترتب على ذلك نشاط الحركة التجارية التي ستجرّ لهم المنافع المتبادلة... فكان أهلنا يبتاعون منهم أشياء كثيرة من العروض التجارية ولا يؤذونهم في شيء.

عندما بلغني نبأ وصول "ديرو"[١٠] إلى "كيفير–شاميان" مع ثلاثمائة نفر من رجاله، قلت للأكراد ما يجعلهم يطمئنون إليه وأنه لا تُخشى بوادره. وليس من سبب للخوف. حسب ما كنت اعتقده إلا أن أمام القرية "الملا" خرج لاستقبالهم والترحيب بهم ذبحوه كما تذبح الخراف. وبعد ذلك توغلوا في أعماق القرية قتلوا بحراب بنادقهم أفراد ثماني عائلات صغاراً وكباراً. فلما وصل نبأ هذه المجزرة إلى أكراد خرجوا إلى قرية "كيفيري"

[10] ـ كان "ديرو" قائداً للقوات الأرمنية وقد شارك في المعارك بمحض رغبته.

وشنوا غارة شعواء على "ديرو" وأصابوه بجراح فأقسر على التراجع مع جماعته من قطاع الطرق.

من القرية التي كنا نأوي إليها أرسلت /٢٠٠/مائتي فارس من فرساني إلى "كارا عين" أما أنا فخرجت في مائة فارس إلى "كليس–كيندي". وهنا ذكر لي "علي–كولي خان" ونحن نتبادل الحديث بشيء من السخرية أمر تراجعنا فقلت في ردي عليه:

من الشرف والمروءة أن يغشى المرء ساحات الوغى ويقاتل سيان إن انتصر أو اندحر.

ولكن من العار أن يظل المرء قعيد داره ومعارك الشرف دائرة، في "قزل–دز" التقيت بالجنرال فأرسلني إلى "كارا–كيندي" يرافقني الفرسان. وهناك جرت لي حادثة تستحق الذكر.

حضر إليّ ذات مرة ضابط روسي يرافقه ترجمانه للبحث في موضوع السلاح. وعندما كنا نتحدث ونتحاور، كان الترجمان يتدخل في الحديث فلما أفهمته أنْ ليس له الحق في التدخل بيننا شهر مسدسه وهددني به وقال إنه من ضباط الجنرال "شتابي" في الجيش الأرمني. فأمرت بعض رجالي ليخرجوه ففعلوا.

بعد مشاورات مع الجنرال "نيكولاييف" لكي استطيع العودة إلى الجنرال "تشيرنوزوبوف" قائد القوات العامة في أذربيجان

الرابض على طريق "وان"، عدت إلى "كارا عين" للانهماك في أعمالي. ومن هنا كتبت إلى "أولفرييف" رسالة، فزودني مرة أخرى بخمسين /٥٠/ بندقية وعشرين ألف رصاصة /٢٠٠٠٠/ و /٣٠٠٠٠/ ثلاثين ألف روبل، وكنت مديناً ببعض النقود فسددتها وخففت أعبائي.

في هذه الإثناء شاعت الأنباء بعد عودتي أن الأكثرية من أكراد "أباخ" قد التحقوا بالأتراك الذين يتأهبون لشن هجوم على "جالدين" و "سيكمين–آف" و "إيلند".

تركت من الحيدرانليين بعض الرجال في "جالديران" لحراسة الحدود وحمايته ثم خرجت مسافراً مع رجالي إلى "سيكمين–آف".. وهنا التحق بي فرسان من عشائر الـــ"ميكخوري" و "الملية". وهكذا بلغت أعداد قواتنا /٦٠٠/ستمائة رجل.

كانت بوّابة "كارادير" ذات أهمية بالغة فاسندت أمر حمايتها إلى "رضا بك" وهو من أقرباء المرحوم "سعيد بك" (وكان يقيم في قريتي "موكخور" و "ميلخيم") ولتعزيز قواته أمددته بمائة أخرى من الفرسان أما أنا فقد ربضت في قرية "زيف" قريباً من الطريق المؤدي إلى "إيلند". وأرسلت فرساني الآخرين إلى قرية "زورآفا" وسائر القرى.

وبعد أن تمكنت من الأكراد الماليين وأكراد "إيلند" حملتهم على الطاعة والرضا والعمل حسب إرادتنا لأنهم كانوا مترددين بين الانحياز إلينا وبين الأتراك.

وكانت الأخبار والمعلومات التي أرسلها إلى الجنرالات والقنصليات دقيقة وصحيحة.

لم أكن أتقاضى أموالاً أو رواتب من الدولة لإنفاقها على فرساني إذ كنت فرضت الضرائب على المناطق التي كنت أحتلها لأستطيع تلبية الحاجات المعيشية لهم.

عندما احتل الجنرال "نازار بيكوف" قضاء "سراي" وقع خمسة رؤساء مع أموالهم وممتلكاتهم من القيادة الحميدية العسكرية حسين آغا–نجدت آغا– عثمان آغا– حسين بك–عزيز جانكير آغا– تحت هيمنة الاحتلال الروسي.

فأرسل هؤلاء الرجال إسماعيل آغا (نجل عثمان آغا) إليَّ حاملاً رسالة يعرضون فيها نيتهم في اتخاذ التدابير للمجيء والاستسلام لنا. فنقلت رغبتهم إلى قنصل "ماكو". وبعد تحرير موافقة خطية لمؤازرتهم ومساعدتهم، حضروا إلى الجنرال "نازاربيكوف" فأرسلهم إلى الجنرال "تشيرنوزوبوف" في "خانكي".

أما أنا فقد أنجزت جميع أعمالي في "جالديران" و "سيكمين" ثم ذهبت إلى "خوي" فاصطحبت نجل "عثمان آغا" إلى القنصلية الروسية لمقابلة سيادة القنصل "كيرسانوف". ثم أن الجنرال "أفروسيموف" نقل نبأ وصولنا إلى الجنرال "تشيرنوزوبوف" ثم أمر في الحال بمثولي لديه. قبلَ بي الجنرال قبولاً حسناً. وبعد أن حدثني وحدثته كان من رأيه إعادة أولئك الخمسة من زعماء الأكراد إلي "السراي" واشترط على فرسانهم نزع أسلحتهم.

قبل أن يشرع هؤلاء بالسفر علم سَعْدت بك أن ابن عمه قتل بيد الأرمن في قرية "خيسبستان"، ولما كان الأرمن قد أقدموا على قتل آخرين جاء إليَّ أولئك الضباط العسكريون متظلمين من الجرائم التي ارتكبها الأرمن وهذه الأوضاع تناقض الوعود التي جهروا بها وأعلنوا تمسكهم بها.

ما يزال الأكراد اليزيديون يعتنقون ديانتهم منذ أربعة عشر قرناً منذ أن دخل الأكراد تحت هيمنة العرب، ورفضوا قبول الإسلام ديناً.

التقى الجنرال "تشيرنوزوبوف" والكولونيل "شتابى" بالسيد "أندرييفسكي" وجهاً لوجه من أجل الأنفاق على علف أحصنتنا وفرساني من أموال خزينة الدولة. ثم قرَّ رأيهم على إيفادي إلى "تبليس" حاملاً رسالة. ولكنني لفرط سعادتي أفسدت عملي بيدي، فبدل أن ألبي طلب الجنرال وانتهز هذه اللحظة وأنتفع

بها- والأكراد مازالوا تحت الهيمنة الروسية- ولا أدع هذه الفرصة تفلت من يدي. أحطته علماً بأنني سأذهب في البداية إلى "سيكمين آفا" واللحاق بجماعتي من الفرسان وفي الطريق إلى قرية "ألندي" سألتقي بأولئك الضباط القادة العسكريين الأكراد لإقناعهم بالذهاب معي إلى الجنرال "نازاربيكوف"، ثم ننطلق جميعاً إلى "وان".

سُرّ الجنرال لاقتراحي، فقبضت منه مبلغ /٥٠٠٠/خمسة آلاف روبل لنفقتي. سرت مع الجنرال من "خانكي" حتى وصلنا إلى "ديلماني" فافترقنا وذهبت إلى "زيفي".

أمهلني الجنرال مدة يومين لِلَمّ شمل فرساني وجمعهم. ولكن عندما وجدتهم متأهبين كامل التأهب خرجت بهم في اليوم التالي وكانوا /٥٧٠/خمسمائة وسبعين فارساً مع /٢٠٠/مائتي مقاتل مع المشاة وكان أكثرهم مدججّين بأسلحة حديثة ومتطورة. وكنت قد عزمت -في خلال يومين- أن نسلك الطريق الوعر على سفوح جبل "ألند الذي تغطيه الثلوج ثم نصعد بمشقة بالغة حتى نصل إلى "سيكمانيس" -قرية عثمان آغا- ونذهب بعد ذلك إلى الضباط الخمسة العسكريين حسب القرار الذي اتخذناه من ذي قبل.

سرنا في الطريق دون هوادة خمس ساعات متواصلة حتى بلغنا قرية "قزل إيكيل" حيث التقينا بنفرين من رجالنا الذين كانوا قد حضروا من السراي لإبلاغنا بأن الجنرال

"نازاربيكوف" قد تقهقر ذاهباً إلى قرية "كوتور" وأن الطريق الذي كنا نزمع سلوكه وكذا قرية "سيكمانيس" تطوقهما قوات تركية كبيرة. وبعد أن تأكدت لنا صحة هذه المزاعم تراجعنا مكرهين عائدين إلى "زيوي".

في "زيوي" حررت رسالة للجنرال "تشيرنوزوبوف" ذكرت فيها جميع الأحداث والواقعات وأعلمته أنني برفقة قواتي سأجتاز سهوب "كوتور" عن طريق "ريخال" للوصول إلى الجنرال "نازاربيكوف".

إلا أنني تلقيت أمراً بالتريث والبقاء في موقعي وأن نحافظ عليه وندافع عنه. وقد علمنا أن /٦٠٠/ستمائة جندي نظامي من الجيش التركي ورجالاً أكراداً من "الحميدية" قد وصلوا إلى قرية "آخوريك" إلا أن قسماً منهم ذهبوا إلى "إيلند" بقصد مهاجمتنا.

أرى من الضرورة بمكان كلما سنحت فرصة أوْ حانت مناسبة أن أنوّه بتلك الخلافات والمنازعات التي كانت تجري بيننا وبين الجيش الروسي.

مثال ذلك أنهم أرسلوا قرابة مائة "قوزاكي" من "خوي" إلى "سيكمين" لاكتشاف مواقع العدو في "إيلند" و "آخوريك" فلما وصلوا إلى قرية "آخوريك" التي تقع على مسافة خمسة عشر /١٥/كم كيلو متراً بعيداً عن قرية "زيوي" علموا أن مجموعة

من الأكراد مؤلفة من /٦٠٠/ستمائة رجل قد خيّموا في الناحية كانوا يتوجهون إليها ولما كان "القوزاق" يجهلون هوية هؤلاء الرجال، ولا يعلمون أنهم منا وأنهم أنصارنا وحلفاؤنا فلما رأوهم هابوهم فلم يتقدموا ورجعوا أدراجهم. ولما عادوا التقوا في طريقهم بالقافلة التي أرسلتها في مهمة إلى "خوي" واستوقفوها.

وقد أثارت أنباء هذه الحادثة شائعات وأقاويل بين الأكراد وأحدثت فيما بينهم شغباً كبيراً فلم أستطع تهدئتهم إلا بعد جهد وبعد لأيٍ ومشقة كبيرة.

كتبت رسالة إيضاحية إلى "رئيس المائة" ولما كنت أكتب رسائلي باللغة الفرنسية دون اللغة الروسية لجهلي بها التمست ضابطاً كبيراً برتبة "بوروجيك" وكان أحد ألآفي وخلاني يدعى "كريم شامخال" ليؤدي دور الترجمة والتفاهم بيننا حتى استطعت الجمع بين فرقتي جنودنا.

في تلك الأيام كانت الثلوج والعواصف قد سدت وأغلقت الدروب والطرقات. بيد أنَّ الجنرال "تشيرنوزوبوف" طلب مني في رسالة أن أمضي في طريق "كارادیري" لشن غارة على الأتراك حتى يتسنى الوقت للجنرال: "نازاربيكوف" لجمع قواته ولمِّ شمل جنوده في "كوتور" ولتحقيق هذه الغاية كان على "القوزاق" الإنضمام إلى صفوفنا. لذلك فقد توجهت إلى "كارادیري" مع ضابط كبير برتبة "خورونزي" (أعلى رتبة

عسكرية في صفوف الضباط) "رومانتسيف" يرافقني جميع رجالي وثلاثون نفراً من "القوزاق". كان ضابط آخر ضمن فرقته من "القوزاق" الذي خرج لاحتلال "إيلند" رجع بذريعة أن الطريق الجبلي مغلق.

إن "الخورونزي" : "رومانتسيف" الذي كان يتقدمنا عاد وقد اختلط ببعض الأرمن المهاجرين وقال إن الاستمرار في السير لم يعد ممكناً بسبب تراكم الثلوج التي تبلغ حيازيم "صدور" الأحصنة، واستناداً إلى تقارير هذين الضابطين كتبت رسالة إلى الجنرال "تشيرنوزوبوف" اخبره بحقيقة الحال. وعدنا إلى "زيفي".

بناءً على التماسي أرسل إليَّ الجنرال /٣٠٠٠٠/ثلاثين ألف رصاصة وبعد عدة أيام وردتني رسالة من الجنرال ثم رسالة أخرى من السيد: "كيرسانوف"، وقد تضمنت الرسالتان الاستنجاد بي ودعوتي إلى الذهاب حالاً إلى "خوي".

وفي المساء لم أتأخر في الذهاب إلى "خوي" وعلمت من الضابط الآمر أن الأوامر صدرت لخروج كافة القوات إلى "جولفا".

قبل أيام مضت وقبل الخروج الأول للكولونيل: "تالكييف" لاحتلال "باشكالي" لم يسيء الأكراد إلى الأرمن وحسب بل

دافعوا عنهم دفاعاً مستميتاً عندما هاجم قطاع الطرق واللصوص الأتراك الأهالي لنهب أموالهم وممتلكاتهم.

وبعد احتلال "باشكالي" سطا الأرمن على بعض بيوت الأكراد ونهبوها وارتكبوا جرائم قتل، ولكن عندما استعاد الأتراك الأرض وسيطروا على المدينة حاول الأكراد الانتقام من الأرمن فقتلوا وسلبوا فاضطروا للنزوح أمام هذه الأوضاع وهاجروا إلى روسيا بعد أن لم تبق في يدهم حيلة.

ومن جهة أخرى فإن جنوداً متطوعين من الأرمن "المرتزقة" عندما تأهبوا للخروج من "كوتور" قتلوا من الأهالي الأكراد /٢٧٠/مائتين وسبعين شخصاً صغاراً ونساءً، ونهبوا المواشي والأغنام والأموال واستاقوا معهم الفتيات وقد أخبرني بهذه الجرائم وهذه المذابح شهود عيان: "هوركيل" حاكم "كاراباخ"، و"باروجيك ايفانوف" (من الفرقة العسكرية الخامسة). والكابتن: بلاتونوف (من الفرقة الثامنة) وأناس آخرون... ثم أضرموا النار في بيوت القرية وممتلكاتها وخرجوا.

مرة أخرى بينما كان بعض رجالي يؤدون واجبهم في الحراسة أخبروني أن الأرمن الذين تطوعوا في الذهاب إلى ميدان القتال حاولوا سرقة أحصنتنا. وفي الحال اتصلت بالجنرال "تشيرنوزوبوف" وأعلمته بهذه الاعتداءات ورجوته وضع حدٍ لها. كان الحراس ثلاثة أشخاص فطاردهم اثنان منهم وتعقباهم ولبث الثالث في حراسته وبالقرب من المدرسة جرى

إطلاق الرصاص بين الطرفين إلا أن الجنود الروس ساندوا المرتزقة الأرمن ووقفوا إلى جانبهم وقتلوا أحد حراسي الذي كان يدعى "علو" أما الآخر فسار الجنود في أعقابه فتوجه إلى مدرسة الأكراد حيث كنا نقيم.

في هذه الأثناء كان الجنود الأرمن المتطوعون (المرتزقة) كان قد سرقوا أربعة أحصنة أخرى من مرابطها.

فلما وصل الحارس إلى المدرسة لاذ بنا وقال إن الجنود الروس والأرمن آتون في آثارنا يحاولون القضاء علينا وإبادتنا جميعاً. وعندئذ هرع خمسة من رفاقنا مسلحين بالبنادق وتوقفوا لدى الباب لحماية بوّابة المدرسة وعندئذ بدأ تبادل إطلاق الرصاص.

كان الكابتن "بلاتونوف" وهو أحد معارفي قد خيّم بعسكره قريباً منا فلما سمع صوت إطلاق النار– وهو لا يدري أنني موجود في معسكري "في المدرسة" أمر جنده بالصعود على السطوح ليقذفونا بوابل رصاصهم، وبدأت القذائف تنهمر علينا من النوافذ بعنف. ولكي نقي أجسادنا ونبعدها عن مصادر النيران لجأنا إلى الجدران الفاصلة بين النوافذ ثم أمرت رجالي بوقف إطلاق النار عسى أن يكف الجنود عن إطلاق النار بسبب هذا الصمت وقد شفوا بعض غليلهم. ولكن إطلاق الرصاص ظل مستمراً وازدادت وتيرة الإطلاق كلما مر

الوقت. وفي هذه المعركة قتل مرافقي المدعو "صالح" بطلقة نارية أصابت صدغه.

في تلك المعركة كان معنا في المدرسة خمسة رجال من البكوات الأكراد "من السراي" الذين سبق للجنرال "تشيرنوزوبوف" أن يضعهم تحت تصرفي بعد أن التمست منه ذلك ":منهم حسين بك الذي جُرح في رجله... وكان آخر قد خرقت الرصاصات ملابسه. استبان لي أن الجنود يحاولون النزول من السطوح ليقتحموا الغرف ويقتلونا في الحال. فضاقت بي السبل ولم يعد لي ملجأ أو ملاذ.

وهل بقي لديَّ شيء أفعله سوى الاستسلام للأقدار وإبراز رأسي للرصاص وقد أتلقى رصاصة في صدغي مثل رجلنا "صالح" البائس.

وفي محاولة يائسة جربت الفرصة الأخرى دنوت من النافذة وأخرجت يدي ألوّح لهم بمنديلي وأهتف ببعض الكلمات الروسية التي كنت أعرفها. حاولت أن أفهمهم بأننا لسنا أعداء راجياً استدعاء ضابطهم. وظل الرصاص ينهمر دون أن أصاب به. كان الجنود يسبونني ويدعونني إلى الخروج. امتثلت لرغبتهم فخرجت وظهرت أمامهم في الباحة فلما رأوني مرتدياً الملابس الأوروبية توقفوا عن الإطلاق وأرغمونا على نزع أسلحتنا. في تلك اللحظة سمعنا قرعاً على الباب فلما

فتحناه فإذا الطارق "باروجيك فيتاليس" أحد أصحابي. فلما عرفني أمر بإنهاء كل شيء.

بدعوة مني جلبوا جثمان "علو" الذي قتل في السوق ثم أمرت الفرسان أن يدفنوا جثمانه مع جثمان "صالح".

في المساء ذهبت أزور الجنرال "تشيرنوزوبوف". كان شديد الأسف والخجل مما جرى في هذه الواقعة. ووعدني بإصدار أمر بإعدام أولئك الرجال من الأرمن بالإعدام شنقاً واستعادة الأحصنة التي اختطفوها منهم متى وصلنا إلى "جولفا".

قررنا نحن والجنرال السير إلى "جولفا" واصطحاب أولئك الرجال البكوات الخمسة. ولكنهم كانوا متوجسين من الذهاب إلى روسيا بسبب ما عانوه على طريق "كوتور" المؤدي إلى "خوي" من الأذى وبسبب الحادثة التي كانت المدرسة مسرحاً لها ورفضوا اصطحابنا خشية أن يُقتلوا في روسيا ورجوني أن لا أمضي بهم إلى هناك.

اعتقدت أنني سأستطيع إقناعي بالحسنى والترجي لإزالة الخوف والهواجس من نفوسهم لأن ما حدث لم يكن مقصوداً وكان نتيجة خطأ وليس في الأمر ما يدعو إلى الريبة والخوف، لعلهم ينضمون إلينا.

إلا أنني في "جالديران" بلغني أن هؤلاء البكوات الخمسة قد اتفقوا مع: "حسن آغا" زعيم "أروسان" أحد زعماء العشيرة "الملية" على مفارقتي والهروب. ولكنهم لم تسنح لهم فرصةٌ مؤاتية لتنفيذ خطتهم.

كان "سمكو" موجوداً في "خوي" في ذلك الوقت فأذن له الجنرال بالهجرة إلى روسيا مع عائلته ورجاله وأمواله، فلما خرج من "خوي" أمطره الأرمن بوابل رصاصهم.

بعد حادثة "المدرسة" ظهرت شائعات وأراجيف بين أكراد المنطقة أنني و "سمكو" قتلنا بيد الأرمن في "خوي".

من ذي قبل كانت العداوات موجودة بين الأكراد "المليين" و"الحيدرانيين" الذين كانوا يشكلون أساساً لقواتي. ثم جاء من أعلمني أن الفتنة كانت نائمة ولكنها بدأت تستيقظ مرة أخرى بين العشيرتين أن بعد ابتعدت عنهما ومن الواجب المحتم أن أعود سريعاً للمصالحة بين هؤلاء الأكراد.

اتفقت مع الجنرال أن أعود إدراجي إلى "سيكمان" والمكوث هناك مدة أسبوع ثم انطلق من هناك مع قواتي إلى "جالديران" ثم التحق بالجنرال في "جولفا".

في اليوم التالي خرج الجنرال بقواته العسكرية مخلفاً وراءه "خوي" فعدت إلى "زيفي". في الطريق التقينا بعائلات وأسر

أرمنية وآشورية كثيرة العدد آتية من "أورمية" و "سالماس" وكانت أمارات البؤس والشقاء بادية عليها وفي أسوأ حال تتجه نحو "جولفا". وجدنا هناك بعض القرى الفارسية التي كانت بيوتها تحترق بين ألسنة اللهب إذ كانت عصابات أرمنية قد أضرمت فيها النار.

بعد أن وصلنا إلى "زيوَ" كان أولئك الخمسة من زعماء "الحميدية" بسبب خوفهم من تلك الحادثة كما ذكرت سابقاً قد ولوا الأدبار وفروا وتركوني دون أن يكون لي علم بذلك.

أسندت حماية شِعب[11] "كارادري" إلى فرسان المرحوم "سعيد بك" الذين كانوا تحت قيادة أقربائه (أقرباء "سعيد بك"). أما أنا فخرجت برجالي إلى "كارا–أيني".

بعد ذلك– أي بعد أن تخلينا عن جنوب "سيكمان–آفي" و شِعب "كورديك" وهذا يعني أننا أفلتنا الطريق المؤدي إلى "خوي" بأكمله.

في الطريق كنا نصادف رجالاً ونساءً وأطفالاً من الأرمن آتين هاربين من مجزرة قرية "خوريك" يطلبون النجاة بأرواحهم. فانتصرت لهم وأشفقت عليهم واتخذت لهم الثيران مطايا يمتطون ظهورها حتى يبلغوا "بيبيجيك" في حماية فرساني.

---

[11] -الشعب: الطريق الجبلي.

وبشيء من الترهيب والوعيد منعت الأكراد الموجودين في تلك الأنحاء من الإساءة إلى الأرمن أو إلحاق أي أذى بهم.

وقد أثار هذا العمل اهتمام قساوسة "بيبيجيك" ومشاعرهم فكتبوا إلي يشكرونني ويدعون لي بالخير. ثم أرسلت –فيما بعد– تلك الكتب التي أرسلوها إليّ إلى الكابتن الجنرال حاكم "زينكيفجرا".

في الأول من شهر يناير "كانون الثاني" من عام ١٩١٥م خمسة عشر وتسعمائة وألف وصلت إلى "كارا–أيني". فأرسلت من هناك ثلاث برقيات: إلى حاكم "خوي" و "ماكو" و "تبليس" السيد: "أولفرييف" لتسليمها إلى يد الجنرال "تشيرنوزوبوف" أملاً في تلقي جواب عن برقياتي وكنت قد طرحت فيها سؤالاً على الجنرال عمّا ينبغي لي أن أفعله.

لم يبلغ الحكام رسائلي إلى مكانها المنشود، بَيْد أن السيد: "أولفرييف" الذي استلم رسالتي في وقت متأخر كان قد أرسل تلك الرسالة عن طريق "البريد".

بدل أن أتحرك والتحق بالجنرال "تشيرنوزوبوف" كما كان مقرراً من قبل رأيت من الأفضل أن أهرع لنجدة /١٠٠٠/ألف جندي روسي ينازلون ويقاومون /٢٠٠٠٠/عشرين ألف جندي تركي بكل بسالة وشجاعة، ويتفانون في الدفاع عن "خوي" ولما لم أكن قد تبلغت توجيهاً أو دعماً من الجنرال ولم يكن بين

يدي أموال أنفقها في شراء الطعام لرجالي اضطررت إلى تغيير خطتيّ وتوزيعهم على قرانا وأن أذهب إلى "بيازيد" في ضيافة الجنرال "نيكولاييف" وكان صديقاً قديماً فرحب بي واستقبلني بكل حفاوة.

عندما كنت في "بتروغراد" تحدثت مع البعض في موضوع ترجمة الملحمة الشعرية "مم وزين" المدوَّنة باللغة الكردية إلى اللغة الروسية. وفي "بيازيد" أنشأ بعض الكتاب والأدباء جمعية أطلقوا عليها اسم "الشيخ أحمد خاني" وهو اسم ناظم هذه الملحمة الشعرية، هذا الشاعر الذي تتضمن قصائده فلسفة وأفكاراً عميقة وتزخر بالصور والرموز الجمالية وتتلى أبياته كما تتلى آيات مقدسة، وللشاعر حرمة وقدسية بين الأكراد قاطبة.

غير أنَّ أناساً انتزعوا تلك المداميك والأحجار التي بنيت بها جدران الجمعية ليصنعوا منها المداخن لمواقدهم وأفران الخبز كما عبثوا بضريحه وبالقبور المحيطة به وبالجامع المجاور وعاثوا فيها تخريباً وإفساداً.

استيقظت قرى كردية على دويِّ قذائف المدافع الأرمنية، ولكن يجب أن نقول بصراحة وصدق أن الأكراد الجلاليين هم أهل حرب ونصف غرباء الذين كانوا يلوذون بالكهوف الجبلية ويتخفون فيها، ويطلقون النار من جبال "آرارات" على الجنود الروس وكلما جرت حادثة إطلاق النار كان مترجمون من

الأرمن يؤدون دوراً سيئاً في الترجمة لتنصّب التهمة على رؤوس القرويين الأكراد البؤساء الذين لم يرتكبوا خطيئة ولم يقترفوا إثماً وكان هؤلاء جميعاً تحت هيمنة الجند الروسي. وكان غالبية الضباط الروس ينتقدون الأرمن أكثر مما كانوا ينتقدون الأكراد إذ ثبت لهم بالتجربة افتراء الأرمن وبهتانهم وأكاذيبهم، لذلك كنت اقترح دائماً على الضباط أن يختاروا مترجميهم –عند الحاجة– من بين الأكراد السنة من "يريفان" و "قارص". وفي الحقيقة كانوا يتقبلون اقتراحي ولكنهم ما كانوا يطبقونه في المجال العملي.

لو أنهم كانوا على معرفة بما بين الجورجيين والأكراد من حب ومودة لما انتقوا المترجمين الذين يحسنون التكلم باللغة التركية، إلاّ منهم دون سواهم.

من "بيازيد" توجهت إلى "إكدر" وقابلت رئيس "كوربوس" فذهبنا معاً لحضور جلسة حيث عرفني بضباطه، وفي الاجتماع التقيت بـــ"تيروخين" و الكولونيل "توميلوف" اللذين كانا يسألانني عن الأكراد.

وعندما كنت أتأهب للخروج من "إكدر" التمس مني رئيس الـــ"كوربوس" أن أزوره بعد عودتي من "تبليس". سرت قاصداً "جولفا"، وعندما خرجت من المدينة التقيت "تشيرنوزوبوف" الذي كان قائد الجيش في أسفل "السوفيان". وبعد أن قُتل من جنود العدو اثنان أو ثلاثة وترك الجنود الآخرين المدافع وسائر

أسلحتهم وعتادهم ولاذوا بالفرار دخلنا "سوفيان". وفي اليوم التالي دخلنا "توريز" دون أن نلقى من العدو كيداً أو مقاومة.

وبعد يومين سلمني "تشيرنوزوبوف" مبلغ /٥٠٠٠/ خمسة آلاف روبل وهو المبلغ الذي كان "أولفرييف" قد أرسله إليّ وطلب إليّ أن أنجز أعمالي في "تبليس" ثم أرجع عائداً إليه.

في "تبليس"- بفضل السيد: "ستوليسين" اجتمعت بالجنرال "يودنينش" قائد الجيش القفقاسي. وفي هذا اللقاء حُمّلتُ أعباء الذهاب إلى "بوتان" والاتصال بأفراد أسرتي وأهلي وحلفائي المؤازرين لشن الغارة على مدينة "بيتليس".

عرضت عليه جميع الأشياء التي كنت بحاجة إليها وشرحت له كل الأمور الضرورية لتنفيذ تلك الخطة. وقلت له لن أستطيع القيام بتنفيذها قبل انقضاء شهرين أي قبل حلول منتصف شهر أبريل "نيسان" لأن الثلوج كانت تغطي جميع المسالك والطرقات. ثم اتفقنا على أن نعود إلى استئناف البحث والحوار بشأن هذه الخطة فيما بعد. إلا أنه يُطلبُ مني الآن أن أشرح هذه الخطة في كتاب يسلمه الكابتن "كولونتايفسكي" بيده- كما في السابق إلى الـــ"شتاب"[١٢].

طلبت منهم أموالا للإنفاق على كسوة /٥٠٠/ فارس من فرساني وطعامهم من خزينة الدولة. ومن باب الأمان- لو كان

[12] - شتاب: رتبة عسكرية روسية.

ممكناً الإنفاق على /١٠٠٠/ ألف جندي من جنودي المشاة في هذا الإطار ضمن هذين الشرطين "الكسوة والطعام". وعلاوةَ على ذلك تزويدنا بمدفعين ورشاشين على أقل تقدير إضافة إلى عدة ضباط روس. وبهذه القوات كنت سأخرج قاصداً "بوتان" عن طريق "هكاري" لاستنهاض همم الناس واستنفارهم والسير بهم إلى غرب ولاية "الموصل" مناطق ماردين ومايليها، واحتلال "بتليس" و "سيرت" ثم الانطلاق من هناك لاقتحام "ديرسم" بغية جعل العدو واقعاً في الوسط بين قواتنا وقوات الجيش الروسي ومحاصرته.

بعد أن أصغى أعضاء"شتاب" إلى آرائي واقتراحاتي لم يبدوا –منذ البداية– ثقة كبيرة بها ورأوا أنَّ مطالبي باهظة التكليف جداً وقالوا –على سبيل الافتراض– لو أن أيَّ ضابط روسي ظفر بمثل ما طلبت لاستطاع أن يقدم هذه الخدمة بمفرده. وفي خاتمة المطاف اقتنعوا بأنني لا جدوى مني ولا أصلح لهم وكان هذا قرارهم.

وهكذا بقيت رغبة الجنرال "تشيرنوزوبوف" بالنسبة لي دون تحقيق.. أما أنا فمن ناحيتي فقد دخلت في وضع لا أستطيع القيام بأعمال كنت أقوم بها من ذي قبل.

ولكن بفضل ثقة "يودينيش" تعيّن راتب شهري مقداره /٣٠٠٠/ثلاثة آلاف روبل لإنفاقها على خمسين فارساً من أعواني وتم إيفادي إلى "تشيرنوزوبوف" ولكي لا نضرب

برغبة "يودينيش" عرض الحائط ويذهب أمره سدى، وقد تلقيت أمراً من الجنرال بالالتحاق بالسرعة القصوى الممكنة قررت السير في الحال.

في "تبليس" وزعت ثلاثة آلاف /٣٠٠٠/ روبل على زعماء الأكراد بشكل هدية لحاجتنا إليهم في وقت ما ثم توجهت إلى "إكدر" للقاء بالجنرال "أوكانوفسكي" حسب رغبته ولكنه كان قد رحل إلى "توريز". فعرّفت نفسي بمعاونه الكابتن "أوزل" والسيد "شيشربين". أرادوا أن يشكلوا جيشاً من الأرمن، ولكنهم في الحقيقة وافقوا على اقتراحي للاستفادة من العنصر الكردي في بناء هذا الجيش وجندوا الفكرة.

من "إكدر" سافرت إلى "حولفا" وهنالك التقيت بالجنرال: "أوكانوفسكي"" وكان قد رجع من "توريز" وكذلك التقيت بالجنرال "تشيرنوزوبوف" الذي كان عائداً من "خوي".

أصدر الجنرال "تشيرنوزوبوف" أمراً بذهابي إلى "خوي" واللبث هناك في انتظاره حتى يعود. فامتثلت لرغبته ولبيت طلبه. وعندما وصلت إلى "خوي" سمعت بنبأ عجيب يفيد أن "رضا بك" قد أسرع مع مائة وخمسين فارساً من رجاله وجردوا من أسلحتهم وهم في انتظار أن يُرسلوا إلى "جولفا" بصفة أسرى اعتقلوا في ساحة الحرب وهم يقاتلون "ليطبق عليهم أحكام قانون الأسرى".

وليس من نافلة القول أنْ أذكر أن فرسان المرحوم: "سعيد بك" مازالوا حتى اليوم يخدموننا بإخلاص وصدق وأمان. هؤلاء الرجال البؤساء "من أهالي قوزاق سيبيريا" اعتقلوا في "ماكو" دون ذنب سوى أنهم كانوا يحملون سلاحاً ولدى تفتيش دورهم ومنازلهم عُثِر فيها على ثلاثين بندقية أخرى من تلك المائة والخمسين /١٥٠/ بندقية التي حصلت عليها من السيد: "أولفرييف". ولقد كان الكابتن "زينكينفيتش" على معرفة بجميع هذه الأحداث التي يحصل على إنبائها من الجنرال "شتاب".

وحالما وصل الجنرال "تشيرنوزوبوف" أطلق لهؤلاء الأكراد المعتقلين حريتهم وتركهم وشأنهم. بَيْد أن بعضِ أفراد أسراهم الذين امتلأت نفوسهم ذعراً كانوا قد ولوا الأدباء إلى "تركيا" وكنت أعلم أنهم سوف يلتحقون بزوجاتهم وأطفالهم الفارين لذلك جردتهم من بنادقهم وتركتهم طلقاء ليذهبوا كما يشاؤون. ولقد كنت على صواب حين فعلت ذالك فقد هاجروا مع رفاقهم الأكراد المقيمين في مشارف "كارا–ديري" إن هذه الأخطار والأحداث التي وقعت دون مبرر كانت سبباً لأخسر مئات الفرسان الذين كانوا سنداً لي وقدموا لي خدماتهم طوعاً، وقد كانوا رجالاً صناديد ومقاتلين أبطالاً في ميادين القتال يمنعون كيد الأتراك ويردونهم على أعقابهم أبدى كل من الجنرال "تشيرنوزوبوف" و الكابتن "زنكيفيتش" عن رغبته في ذهابي إلى "سياسمين–أفي" فإذا ذابت الثلوج وبدأت القوات الروسية بمهاجمة وأن ذهبت لمناصرتهم ومؤازرتهم. وفي الحقيقة كنت

استطيع القيام بهذا العمل على أحسن وجه لولا أني اكتشفت أن الأموال النقدية التي في حوزتي لن تكفي لإعالة أولئك الفرسان الذين سيلتحقون بي. وتغطية نفقاتهم. ثم أن خلافاً نشب بيني وبين الجنرال في مسألة ذهابي إلى "ديلمان" لمزاولة عملي في مناطق "سالماس" و"أورميه" وفي هذه الأثناء ظهر خلاف أخر بيني وبين السيد: "فيدينسكي" ألحق ضرراً جسيماً بعملي وثبط همتي ونشاطي.

ذات يوم أحتجز رجال "حيدر خان–ثري "خوي" أحد فرساني وجرده من سلاحه وسلبوا حصانة.

فلما كنت تحت رعاية الحلف الروسي بشكل رسمي بّينت للسيد: "فيدينسكي" أن فرساني هم أعضاء في الجيش الروسي وأسلحتنا هي ملك للدولة وما دامت هذه الجريمة قد وقعت وأهين أحد الفرسان فلا بدّ من معاقبة المسيئين بطريقة قانونية والحكم عليهم بما يستحقون من جزاء لإعادة الأمور إلى نصابها.

وبصدد هذه الحادثة قبل عودتي إلى (ديلمان) جرت مشادة عنيفة بيني وبين السيد: "فيدينسكي" وهددني بالاشتكاء مني لدى المسؤولين، فقلت له: أنت حر في ما تفعل واصنع ما بدا لك. ولكنني في الوقت نفسه شرحت هذه الأمور جميعاً للجنرال "تشيرنوزوبوف" ثم ذهب إلى "ديلمان"، وعندما كنت هناك حضر السيد: "فيدينسكي" إلى هنا مرتين وكان يلقي آذاناً

صاغية- كما كان يقال لي- آذاناً صاغية إلى الأكاذيب والأقوال الباطلة وينقلها إلى الرؤساء.

في مجمل حياتي رأيت أول وهلة موظفاً أفاكاً يلجأ إلى الدرك الأسفل من نسج الافتراءات ليشفي غليله وينفس عن حقده.

في ذلك العهد أوْقَدَ قائد الجيش التركي "خليل بك" وجنوده نار حرب طاحنة، ولم استطع المثابرة على تنفيذ خطتي وأداء عملي فعدت إلى "خوي"

بعد أيام تسلم الجنرال "تشيرنوزوبوف" برقية من الـــ"شتاب" ليرسلني فوراً إلى "تبليس". فاستدعاني فلما شخصت لديه قال لي: اعتقد أنهم سيكلفونني بعمل مهم يرهق كالي. قال ذلك ثم أظهر لي تأسفه لرحيلي. وتمنى أن نلتقي في وقت قريب. وبدا لي من حديثه أنه ما كان ليرتاب في ما طويت عليه النفس من النيات.

ثم تكرر استدعائي في برقية ثانية فأسرعت، وذهبت فوراً إلى "جولفا". أخذني عسكريان من "الجندرمة" إلى غرفة "الجمارك". فتشوا حقيبتي، وأفرغوا جيوبي من كل شيء وأخذوا كل ما كنت أحمل من متاع، ثم مضوا بي إلى الكولونيل "شتراوب" في حالة مزرية من الصعب الكتابة عنها ووصفها، إلى قائد قوات "الجندرمة" الذي كان ينتظر بلهفة قدومي عليه.

إن الكولونيل الذي على معرفة بدخولي "جولفا" دعاني للمثول أمامه في دائرته وبواسطة "الجندرمة" أرسلني إلى مبنى حاكم المنطقة. الكولونيل "بيكوف". وهناك حققوا في أمري ثم ذهبوا بي من هناك وزجّوني في غرفة منعزلة تحت حراسة الجنود الذين يحملون بنادق ذات حراب بعد أن أغلقوا باب الغرفة.

في فترة اعتقالي كنت موضع احترام وتقدير "الكومندان" السيد "بيكوف" ورجاله "القوزاق" حيث أحمل رتبة "باشا" وقد أسرت في معركة الحرب، ولذلك كانوا يتلطفون في الحديث إليّ حفاظاً على مشاعري ويبدون لي عطفهم.

وفي الوقت نفسه اعتقلوا رجالي الذين تخلفوا في "خوي" وأرسلوهم إلى "جولفا" وعاملوهم معاملة أسرى الحرب.

كنت قد تركت في "خوي" /٤٨/ ثماني وأربعين بندقية و/١٥٠٠٠/ وخمسة عشر ألف رصاصة ولكنهم انتزعوها أيضاً من يدي. ومضوا بأحصنة فرساني واتخذوها غنيمة. وقعت هذه الأحداث جميعها في أواخر شهر أبريل –نيسان– حينما كانت رحى حرب المنطقة تدور على طريق "وان".

كنت قد عقدت العزم على الاختلاط بالجيش الروسي لشن هجوم على "وان" ولكن هذا الأمل الذي كان يساورني في خلال كل أيام الشتاء تبددّ بعد هذا الاعتقال.

بعد خمسة أيام من الاعتقال مضوا بي إلى "تبليس" برفقة عنصرين من "الجندرمة" وفي محطة قطار "تبليس" أودعوني غرفة "بوليس" ثم أخذوني إلى مبني "الجندرمة" الخاص بالعمليات، حيث طرح عليّ ضابط برتبة "بريستاف" بعض الأسئلة.

بعد بضع ساعات صرح لي الكولونيل "ايفانوف" أنني اعتقلت من باب الخطأ وأنني الآن حرٌ طليق بأمرٍ من الجنرال "يودينيتش" ودعت الجندرمة" ثم ساروا بي وأسكنوني "فندق الشرق".

بعد أربعة أيام أعلن لي الكابتن: "كولونتاييفسكي" عن قرار الجنرال القاضي بسفري إلى "ملازكر" لمواجهة الجنرال "عباسييف".

وبواسطته ودلالته غادرت "تبليس" في الحال ذاهباً إلى "إيجميادزين". وهناك التقيت بالكابتن "سيليزنيوف" الذي كان ينتظر حضوري. وعلى متن السيارة أوصلني إلى "إكدر".

حاولت قبل خروجي من "تبليس" أن أخرج رجالي الذين اعتقلوا إلى "بيازيد" مع أحصنتهم وأسلحتهم، لأنني استطيع متابعة سيري بمعزل عنهم. مرة أخرى نفذ لي الكابتن "سيليزنيوف" رغبتي من "إكدر" ثم ذهبنا إلى "قره كيليس" وهناك علمنا أن الجيش الروسي قد استولى على "وان".

وهذا النبأ الجديد بّدل طريق سيرنا. فعدنا مرة أخرى إلى "إكدر" وهنا غادرني الكابتن "سيليزنيوف" قاصداً "قارص". وفي انتظار تعليمات جديدة مكثت ثلاثة أسابيع في "إكدر". ولما طال انتظاري ويئست من وصول التعليمات توجهت إلى السيد "ششيربين" لعله يحصل لي على إذن من "أوكانوفسكي" لأعود إلى "تبليس".

سمحوا لي بذلك فذهبت إلى "تبليس". في إلكساندر رابول" التقيت بالكابتن "زنكيفيتش" الذي كان في طريقه إلى "قارص" فشكوت إليه من سوء أحوالي ثم انطلقنا معاً إلى "فارس" وفي "قارص" رتبنا أمورناً وخرجنا إلى "إكدر".

عندما وصلت إلى "إكدر" أشار إليّ الجنرال "أوكانوفسكي" للذهاب إلى "وان" ومنها إلى "بوتان".

في "وان" لم أظفر بسوى خمسة آلاف /٥٠٠٠/ روبل، ولم أحصل على كسوة أو سلاح. وكان من المشقة والعناء أن أحمل على كاهلي هذا العبء الباهظ من المسؤوليات دون قوات تساعدني وتشد من عزيمتي. ولما كانوا يحاولون إقناعي بأن "تبليس" ستسقط قريباً جداً في يد القوات الروسية ومنها ستنطلق القوات العسكرية لاحتلال "سيرت" المدينة المهمة في "بوتان" فقد راودني الشك وفي السادس من شهر "أيلول" سرتُ مخلفاً ورائي "إكدر".

كل هذا منذ أن أسرعت في الخروج من "تبليس" استغرق شهراً كاملاً، وهذا يعني أنني ضيعت شهراً برمته في طريق سفر لا جدوى منه.

حضرت إلى "شاختاختي" حيث التقيت بالسيد "أولفرييف" فذهبنا سوية إلى "ماكو". ولقد بذل هذا القنصل –كما في كل مرة– كل جهد ممكن انتفع به ولم يدخر وسعاً في ذلك. وسرعان ما ذهبت في اليوم التالي إلى "كارا– عين". وهنا استطعت أن اجمع حولي في خلال /٥/ خمسة أيام خمسمائة /٥٠٠/ فارس ومائتي /٢٠٠/ رجل من المشاة. ولم يكن في حوزة هؤلاء الرجال السبعمائة /٧٠٠/ سوى ثلاثمائة /٣٠٠/ بندقية. وفي أمل الحصول على تلك البنادق التي غُنمت من الأتراك، وتلك التي أخرجت من مخابئ "وان" لم يعلنوا رفضهم. ورجالي الفرسان الذين سيكونون في خدمتي فقد احتفظت بهم ولم أدعهم يذهبون.

وبسبب استيلائهم على تلك البنادق الثماني والأربعين /٤٨/ التي لم يعيدوها لي ظل حراسي دون سلاح. وهذا الأمر كان يقلل من شأني في عيون الأكراد.

من العادات القديمة الدارجة حتى الآن، أنهم كانوا يهدون حصاناً أو سلاحاً قيماً إذا برز شخصاً مّا في بيئته أو أصبح مرموقاً. ولهذا كان لا بد من توفر البنادق في يدي للتصرف بها عند الحاجة. لم أكن قد حرمت من ذلك وحسب بل كان

ينبغي لي–وأنا مكره– أن أأمرهم بالاعتماد على أنفسهم في طعامهم ريثما نصل إلى "وان".

وفي الثاني عشر من شهر أيلول سرتُ مع سبعمائة من رجالي مخلفين وراءنا "كارا–عين" . وفي قرية "نوشار" التحق بنا ثلاثون /٣٠/ نفراً، كان الجنرال "تشيرنوزوبوف" قد كلفهم بالمسير إلينا.

في قرية "جوبوكلو" صادفت "جانكير آغا" اليزيدي. وكان أحد أولئك الفرسان الخمسة من "الحميدية" الذين فروا من "سكمين–آفي". وكنا نحمل أوامر من الجنرال "تشيرنوزوبوف" و "نازار بيكوف" بقتلهم أينما وجدناهم دون تردد. وبناءً على هذه الأوامر أمرتُ باعتقاله، واصطحبته إلى "وان" وسلمته للحاكم العسكري.

من قرية "جوبوكلو" تحركنا إلى قرية "ملا حَسَنِي"... كانت الجبال في مواجهتنا إلا أنّ ألفي /٢٠٠٠/ أسرة كردية قد حلت في تلك الأنحاء وأقامت فيها، تلك الأسر التي هجرت قراها. فلما بلغهم نبأ وصولي إليهم جاءني مائة نفر وقالوا إن الجنرال "تروخين" عندما كان في تلك الأنحاء كتب لهم كتاباً ببراءتهم يوحي بعدم المساس بهم بسوء أو التعرض لهم. وبعد ذلك نزعوا أسلحتهم. وعندما غادرهم الجنرال، هاجمهم الأرمن فاضطروا إلى الهرب والنزوح من قراهم. سبع وعشرون

امرأة وفتاة من الأسر النبيلة القين بأنفسهن إلى الوادي وانتحرن بعد أنْ أُغْتُصِبْنَ.

وُجد بين هؤلاء الأشخاص المائة رجال من أقرباء "سعيد بك". و كانوا في قريتهم "ميندان" عندما هاجم الأرمن– وهم سكان هذه القرية– بيوت "أيوب بك" فسبَوْا النساء، وقتلوا الرجال والخدم ولم يبقوا على أحد وسلبوا أموالهم ومقنياتهم وكل ما يملكون.

من قرية "ملا حَسَنِي" حضرت إلى "وان" والتقيت بالجنرال "نيكولاييف".

قبل أن يحتل الروس "وان" بوقت وجيز كانت الحكومة التركية قد شرعت تطارد الأرمن، وكان الأكراد "المحليون" قد انضموا إلى الأتراك وشاركوا في القتل والسلب والإبادة الشنعاء.

كان نصيب مدينتي "أرديش" و "وآرجاك" من الدمار والقتل والحرائق كبيراً جداً. ففي "وان" انتفض الأرمن وثاروا في وجه الأتراك فجرت وقائع وأحداث وفواجع من قتل وسلب ونهب دامت /٢٠/ عشرين يوماً ولم تنته إلا بعد وصول القوات الروسية فغادرت القوات العسكرية التركية المدينتين وخرجوا منها. عندئذ بدأ دور الأرمن في قتل المسلمين ونهب أموالهم وإحراق دورهم ومنازلهم والانتقام منهم انتقاماً مرعباً وفظيعاً.

في ذلك الوقت عيّن الروس أحد زعماء "الطاشناق" وهو "آرام باشا" والياً على "وان" وأقاموا تلك الدولة الأرمنية الهزيلة (Wedelû) في تلك المنطقة.

عندما جئت إلى "وان" أمرني رئيس الـــ "كوربوس" بالذهاب فوراً إلى "بوتان–سو" و "خاسكير" وفي تلك الأيام كانت قوات أرمنية تحتل "موكس" و "شاتاخ" وشمال نهر شاتاخ" وصولاً إلى قرية الأرمن "آرمشاتي". إلا أن جنوب قرية "شاتاخ" كانت تحت سيطرة أكراد عشيرة "آرتوش" كان عليّ أن أخرج من "وان" عبر "شاتاخ" إلى قرية "خيشيتي" لاستنفار العشيرة "البروارية" لمواجهة الأتراك والاستيلاء على قرية "خاسكير".

كان رئيس "شتاب" في تلك الظروف قد انضم إليّ، وهو الذي عرف بعدائه للأكراد واشتهر عنه حقده عليهم فكان يترفق في الحديث معي وبمزيد من اللطف يحثني على الإسراع في التقدم حسب التعليمات التي كانت تصدر إليّ.

ولكن لكي أتقدم إلى الأمام فسأكون بحاجة إلى /٦٠٠/ ستمائة بوت نار وأن تنعّل أحصنتنا وسأحتاج إلى /٨٠/ ثمانين دابة "تَرْكي" محملة بالجوالق–الأكياس– والحبال وسواها، لجأت مراراً إلى الجنرال: "نيكولاييف" لتلبية مطالبي وتقديم ما أحتاج إليه ولكن ذلك كان يجري بتؤدة وبطء كبير.

كان السيد "هاكوب" قائداً للقوات العسكرية وبدل أن يدفع إليّ /٦٠٠/ستمائة (بوت) من الخبز دفعة واحدة أداها إليّ على دفعات متفرقة وقليلة في خلال سبعة أيام. وقد تم التهام /٣٥٠/ ثلاثمائة وخمسين (بوت) من الخبز في التوِّ والحال. وبسبب شح الحديد وندرته، وضعوا تحت تصرفي مدفعاً قديماً لنُصنعَ منه نعال الأحصنة، وبسبب الصعوبات التي كنت أتعرض لها والمشقة التي كنت أعانيها في سبيل خروجي لم يخطر ببالي أن هناك نياتٍ سيئة تسعى لإلحاق الأذى بي. غير أنَّ امرءاً أرمنياً ذا سمعة حسنة وشهرة واسعة من "باكو" يدعى "ساروخان بكي" الذي كان تحت لواء الجنرال، يصغي إليّ ويهتم بأمري ويبذل قصارى جهده في تقديم العون لي وتلبية طلباتي.

منذ خروجي من "تبليس" وحتى ذلك الوقت لم أكن قد حصلت على أية أموال لإنفاقها في مسيرتي. ثم قبضت منهم مبلغ /٥٠٠٠/ خمسة آلاف روبل. دفعت منها /١١٦٠/ ستين ومائة وألف روبل للسيد "هاكوب" عن ثمن الخبز "بين يدي وثيقة خطية بذلك"، وإن المرء يستطيع بسهولة أن يتصور المبلغ المتبقي لسائر التكاليف والنفقات الأخرى –في يدي. كنت أحاول إفهامهم أن هذه الأموال النقدية زهيدة لا تفي بقضاء حاجاتي وإنني بحاجة إلى عدة مئات من تلك البنادق الموجودة في حوزتهم وتفيض عن حاجتهم.

وبإيعاز من رئيس الـــ "كوربوس" لم تصرف إليّ وقالوا إن كان لا يريد السير إلا ضمن هذه الشروط فإنه يستطيع العودة إلى "كارا– عين".

وهكذا غدوت في وضع حرج وشاق إذ كان من العار أن أعود متقهقراً إلى الوراء. هذا من جهة، ومن جهة أخرى كنت أخشى أن أسير دون طمأنينة أو رغبة وأنا في هذه الحال الزرية.

أنبأني الجنرال "نيكولاييف" أن بضعة آلاف من الأكراد اقتحموا "آرمشات" و "شاتاخ" وبدأت الحرب بين الطرفين باطلاق الرصاص، وكان –عندئذ– يحاول أن اذهب لأخماد نار الفتنة وتغيير الأوضاع. ويضيف قائلاً: من المأمول أن تستولي القوات العسكرية الروسية على "بتليس" بين لحظة وأخرى.

فلو صح ذلك واحتل الروس "بتليس" لخفف ذلك من أعبائي الشيء الكثير، لأنني فيما لو هاجمت مدينة "سيرت" لساندتني القوات الروسية.

بمشقة بالغة خرجنا من "وان" و وصلنا إلى "آف زين" في منطقة "كوروندشت". وهناك علمنا من بعض الجنود الأرمن أن رجال الدين في هذه المناطق ظاهروا الأرمن وأنقذوهم من المجازر، لذلك فهم يشكرونهم على هذا الصنيع. وعرفاناً بهذا

الجميل وعد الأرمن المقيمون في المنطقة الأكراد أن ينصروهم ويحاموا عنهم ويمنعوا الروس من الاعتداء عليهم، وألحوا عليهم في الرجاء كي لا يبرحوا أماكنهم. فوثق الأكراد بوعودهم ومكثوا في مكان سكناهم. ولكن- عندما وصلت عصابات من الأرمن المحليين إلى منطقة "كوروندشت" لم يصغوا إلى رجاء إخوانهم "الأرمن" وأمعنوا في قتل الأكراد. دلّني الجنود على منزل عثروا فيه على قرابة /٦٠/ ستين جثة ولكنهم وجدوا في قرية أخرى أكثر من /٨٠٠/ ثمانمائة جثة فذهب بعض الأكراد الذين كانوا تحت إمرتي إلى تلك القرية وواروا تلك الجثث التراب حسب طقوس دينهم.

وبعد يوم وصلت إلى "شاتاخ" فخرج السيد: "صاموئيل- فنسي"- والي الدولة الأرمنية ومضى بنا إلى مبنى حكومته.

وبمناسبة حضوري إلى هذه المدينة (التي كانت في عهد من العهود من أملاك جدي) استقبلني أرمن هذه المدينة استقبال الأصدقاء وبكل حفاوة. ولكنهم كانوا في خوف دائم يخشون أن يباغتهم الأكراد بهجوم ويتوقعون هذا الهجوم يوماً بعد يوم، وبسبب هذا التوجس كانوا يتلقون المدد والمعونات رويداً رويداً التي كانت تأتيهم من "وان" لأنهم كانوا يظنون أن المهاجمين سيكونون أكثر من /٦٠٠٠/ ستة آلاف مهاجم، وكان ضمن هذه الإمدادات الرصاص والبنادق.

لم تكن "شاتاخ" قادرة على الوقوف والصمود أمام المهاجمين، وإضافة إلى ذلك كانت الجهات الشمالية من "وان" مهددة بالأخطار فألحَّ عليَّ الجنرال "نيكولاييف" وأمرني بالذهاب للهجوم وسد السبيل أمام هذا السيل، وأن أبذل كل ما لدي من طاقة لصد هجوم أولئك الأكراد ومنع تقدمهم. ولهذا السبب كان عليَّ أن أنطلق من جنوب نهر "شاتاخ" حتى "خومان" لأن جسري قريتي "جيلكان" و "خيشيت" كانا مهدمين، وكان على أرمن "آرمشات" أن يتدبروا الأمر ويجدوا لنا حيلة للعبور فوق الجسرين.

كان المعبر المفضي من "شاتاخ" إلى "خومان" قد أصابه العطب فلما مرت عليه خيولنا ومطايانا هوت إلى النهر مع أحمالها ونفقت.

وحالما وصلت إلى "خومان" استدعيت إلى موقعي رؤساء المناطق الغربية كلاً من الشيخ "حميد" من "كوروندشت"، و"عفدال بك" من "خيشيت". ومن الجنوب استدعيت كلاً من حجي :محمد أمين آغا" رئيس عشيرة "كرافيا"، ورئيس عشيرة "آغلان: علي خان". ومنهم علمت أن الأرمن تقاعسوا عن ترميم الجسور وإصلاحها، ثم نصحوني أن أسلك الطريق الجبلي المدرّج الذي كان جدي قد أمر بإنشائه (كتلك الطرق التي يصطنعها متسلقو الجبال بواسطة الحبال) لاجتياز جبل "كاتو" وعبوره. وكان هذا الطريق المتسلق يمتد على مسافة

ثلاثة "فيرستات" كيلو مترات شديد الوعورة لا يمكن التسلق عليه إلا بجهد النفس، وكان سكان المنطقة المعتادون على التسلق يصعدون عليه بواسطة أحذية مصنوعة من الحبال بمشقة بالغة.

بعد ثلاثة أيام سرنا باتجاه "خومان" وعند حلول المساء استتب بنا المقام في قرية "شامينيس" الواقعة تحت أكتاف جبل "كاتو"، الجبل الذي كان يفصل بيننا وبين غايتنا– قرية "خيشيت".

جاءني أكراد النواحي الغربية وأكراد عشيرة "آغلان" وأعلنوا ولاءهم وقبلوا بانضوائهم تحت لوائي دون أية قيود أو شروط.

كان /١٢٠٠٠/اثنا عشر ألف خيمة نُصبت بين "شامينيس" ومدينة الـــ "جزيرة". نصبها المهاجرون من "بوتان" و "مهريجان" من ولاية "وان".

حررت "بياناً" سلمته إلى يد الشيخ "خالد"، و "عفدال بك" وأرسلتهما إلى رحَّل– كوجر– "بوتان" والقاطنين في مناطق "برواري" و "خاسكير" و "ديه". إلا أنني أوصلت هذا البيان بيد: "علي آغا" إلى عشائر "كراف" و "أردخوش".

كان فحوى "البيان" الذي أصدرته كالتالي:

لقد كان جدي قائدكم بصدق وإخلاص وأنا أيضاً أريد أن أكون مخلصاً في قيادتي لكم وسوف أتبع نهج "الشريعة" لأنقذكم من

براثن الأتراك لأنّ حكامهم يخالفون أحكام "الشريعة" وعلاقتي بالحكومة الروسية ليست كما يزعم الأتراك، ولست في سبيل التضحية ببلدي من أجل "روسيا". ولكننا سنحارب الأتراك بالبنادق والمدافع الروسية لأنهم أعداؤنا وأعداء روسيا.

وفي الحديث عن الأرمن نقول: يجب أن لا نخشى بأس حكامهم خارج "وان". لأنهم واقعون تحت قيادتي... وهذا القول ينطبق على الأرمن في بوتان لأنهم تحت هيمنتي وسيطرتي فلا ينبغي لنا أن نخافهم أو نتوقع منهم شراً، ولن نمسهم بسوء كما تأمرنا وتملي علينا "الشريعة"[١٣].

فلو أنهم فكروا في الهجوم على "شاتاخ" لصوّبت عليهم المدافع الروسية من "وان" وشننت عليهم الغارات بعون من حلفائي وقضيت عليهم قضاءً مبرماً وانتزعت منهم أرضهم.

وطلبت من عشائر تلك المنطقة إخلاء سبيل الأرمن الذين مازالوا تحت سيطرتهم والسماح لهم بالعودة. ثم ختمت كتابتي (في البيان) قائلاً: إن وعود الألمان بمصادقة المسلمين مجرد وعود كاذبة لا صحة لها. وليست شيئاً آخر. وإن كل معاهدة بين زعماء المسلمين وبين الألمان عمل مخالف لروح الشريعة الإسلامية وأحكامها.

---

[13] ـ الشريعة: المقصود بها الشريعة الإسلامية.

بعد ذلك، أرسلت عشائر "كراف" و "آرتوش" الأغنام لرجالي وقالوا إنهم بناءً على تصريحي بنية الهجوم على "شاتاخ" سيتقهقرون ويخرجون من تلك البقاع ويسكنون في أنحاء "نهر كارى" باتجاه الجنوب على بعد /١٢٠/كم "فيرستا" مائة وعشرين كيلو متراً.

عاد الشيخ "خالد" و "عفدال بك" واخبراني أنهما قد أوصلا بياني إلى عشيرة "برواري" التي أرسلت /١٠٠٠/ألف شخص من رجالها مع مسؤوليها وهي في طريقها إلى "خيشيت"- مكان إقامتي. وأنهم قد رمموا جزءاً يسيراً من درجات الطريق المتسلق في جبل "كاتو" وفي وسعنا أن نختبره، ونتسلق عليه. وأنّ "قائمقام" قضاء "خاسكير" وقائمقام قضاء "ديه" قد خرجا وفرّا مع موظفيهما بعد أن سمعا بقدومي.

عندما قَدِمْنا إلى "شامينيس" لم يكن بين أيدينا خبز قط. فأمرت رجالي أن يقطفوا السنابل ويشووها ثم يفركوها.

إن الأرغفة النادرة التي كنا نحصل عليها ببذل الكثير من الجهد والعناء في "خيشيت" جعلته وقفاً على المرضى. ولم يكن هذا النقص ليضيرنا. إلا أنَّ طعامنا كان لوناً واحداً وهو لحم الشياه، ولعل الاقتصار على تناول اللحم كان سبب المرض المتفشي بيننا أو أننا جلبنا معنا "التيفوئيد" من مخيّم "وان" {ولست على يقين في هذا أو ذاك} إلا أن الوباء كان منتشراً

بين رجالي. وكان خمسة أو ستة من رجالي يموتون كل يوم. إذ لم نكن نملك أدوية ولم يكن بيننا طبيب.

عندما علمت من الشيخ "خالد" أن درجات المرتقى في جبل "كاتو" صالحة ومهيأة للصعود عليها كلفت /٥٠/ خمسين فارساً من فرساني للكشف عن حالة الطريق ومشاهدته مشاهدة عينية للاطمئنان، وهل نستطيع –حقاً أن نعبر الجبل أم لا؟ أما نحن من جهتنا فقد تأهبنا واتخذنا كافة التدابير للذهاب متى جاءتنا أخبار سارة.

لكن الأخبار لم تكن سارة ولم تكن تبشر بخير فقد وصل إلينا بعد ساعتين ضابط من تلك الجبهة وأخبرنا أنّ محاولات متكررة أخفقت وسقط حصانان في الهاوية ونفقا ومن المحال أن تستطيع الأحصنة الصعود على هذا الطريق وعلى متونها أحمالها.

ولما لم تبق أمامنا فرصة للاجتياز ولم يكن على نهر "جلكان" أي جسر للعبور اضطررت للعودة إلى "شاتاخ"، والسير على ضفة النهر اليمنى حتى "آرمشات" و "خيشيت".

أرسلت الشيخ "خالد" وسائر الشيوخ الآخرين إلى "خيشيت" وأمرته أن ينتظر قدومي إليه. حملت معي "عفدال بك" وتوجهت إلى "شاتاخ" حيث التمست من القائمقام أن يقدم لنا جميع ما نحتاج إليه، حتى يكون في وسعنا استئناف سيرنا إلى

"آرمشات". وبعد أن استشار القائمقام عدداً من ضباط العصابات الأرمنية أبدى عن أسفه وزعم أن حدود أمريته ضيقة فلا يستطيع تلبية حاجاتنا. وما علينا إلا أنْ نلجأ إلى "آرام باشا".

عندئذ كلفت عفدال بك بالذهاب إلى "خيشيت" ليحدِّث عشائر "بوتان" عن قدومي اليهم بعد سبعة أيام وعليهم أن يكونوا مستعدين. ثم سرت متوجهاً إلى "وان".

في "وان" رجاني "مصطفى بك" وأقرباؤه أن اسمح لهم بالعودة إلى "كارا- عين" لسهولة ذلك. ولكن ماذا كانوا يقصدون بالذهاب؟ هل كان "مصطفى بك" يريد الذهاب لجمع المكوس والضرائب من القرويين؟ هل كان يشكو من نقص في النقود؟ أو أن نقوده نفدت؟ لست ادري.

وفي تلك الأيام عاد الأرمني "بيدرو" من أهالي قرية "خومان"، والكلداني "شمعون" عادا من عند الشيخ "خالد" ليخبراني أنّ عشائر "برواري" و "ديه" في انتظار وصولي إليها لأنها بصدد القيام بانتفاضة على الأتراك وترجوني الشخوص إلى "خيشيت" في أقرب وقت.

قطعت الأمل من الدولة الروسية ويئست من الحصول منها على السلاح والثياب والحاجات الضرورية الأخرى، وقصدت الجنرال "نيكولاييف" ورجوته أن يسلمني تلك البنادق والأسلحة

التي انتزعوها من يد "الحيدرانيين" لتوزيعها على أكراد "بوتان".

ورجوته أن يسافر إلى "تبليس" على نفقتي الخاصة ليسحب أموالي المودعة في مصرف "الاعتماد" وهي خمسة آلاف روبل. لم يرفض الجنرال طلبي وكتب إلى رئيس الـــ"كوربوس" للسماح له بالذهاب، وكانت النتيجة أن الأسلحة التي طالبت بها، وزعوها بين الأرمن ولم يفلح الجنرال رغم جهوده أن يظفر من المصرف بشيء.

وفي تلك الفترة بلغني الجنرال "نيكولاييف" أن القوات الروسية قد استغنت عن خدماتي ولم يعد لي مكان بينها وإنني حر طليق أذهب إلى حيث أشاء. فقلت له: سأذهب مع بعض رجالي إلى "بوتان". وفي تلك الأيام كان الجيش الروسي قد انسحب من "ملازكر". وانسحب أيضاً من "كوبي" باتجاه "قاقزمان" وبالتزامن مع تلك الأحداث حاول "لاتو" الثائر الأرمني المعروف أن يسطو على قرية "بيداري" "من قرية بروار" فقتل مع بعض رجاله /٢٧/ السبعة والعشرين بيد الأكراد. وطارد الأكراد الأرمن حتى "موكس" واحرقوا ثلاثة قرى تابعة لهم.

قبل أن أعود إلى "بوتان" أعلن رسمياً أن الجنود الروس سوف يغادرون مدينة "وان" فلما سمع الناس النبأ غادروا المدينة ولاذوا بالفرار.

وكان آنذاك في يدي /٢٧/ سبعة وعشرون حصاناً وهبتها لعائلات أرمنية وكلدانية من معارفي ثم التحقت بالناس المهاجرين.

وبعد أربعة عشر /١٤/ يوماً في اليوم الثالث من أغسطس "آب" من عام ١٩١٥م، حضرت إلى تبليس حيث علمت أن القوات الروسية استعادت الأراضي التي كانت قد تخلت عنها[١٤].

عبدالرزاق يزدان شير التوقيع

[14] AVPR Bingeha Pêrsdskîy Stol-B-1912-1914,Deftra N 489, Girêka N568.-

الفهرس

المقدمة.....٧

الوثيقة الأولى.....١٩

-إمارة الجزيرة وبوتان.....٢٣

-مرحلة ما بعد بدرخان.....٢٥

-حكايتي.....٢٧

الوثيقة الثانية.....٣٥

بعض أعمال دلاور زنكي : ترجمة – تأليف – إعداد :

١-ديوان شعر (بيداري= Pêdarî)، صدر عام ١٩٨٥.

٢-مم و زين–أحمد خاني-بالأحرف اللاتينية-١٩٨٥.

بالاشتراك مع الشاعر تيريز. غير مطبوع.

٣-قواعد اللغة الكردية (اللهجة الكرمانجية)، جلادت بدرخان-١٩٩٠.

٤-حول المسألة الكوردية -جلادت بدرخان-.أربيل-كردستان. ١٩٩٠.

٥-من عشق القناديل القديمة-عبدالرحمن مزوري-١٩٩١.

٦-عذبة لي ومرة لناس-عبدالرحمن مزوري-١٩٩١.

٧-شرفناميا منظوم-جكرخوين-١٩٩٧-بيروت.

٨-مذكرات جلادت بدرخان-١٩٩٧-بيروت.

٩-أنا والنار-الشاعر هزرفان-١٩٩٧-بيروت.

١٠-البدرخانيون في جزيرة بوتان-مالميسانز-١٩٩٨-بيروت.

١١-قبل بزوغ القمر-٢٠٠١-أربيل،كردستان.ترجمة:توفيق الحسيني.

١٢-الكاتب الكردي قدري جان-٢٠٠١-أربيل-كردستان.باللغة العربية.

١٣-مذكرات أوصمان صبري-٢٠٠١. باللغة العربية-بيروت.

١٤-الكاتب قدري جان-باللغة الكردية-طبع في اسطنبول ٢٠٠٤.

١٥-مذكرات أوصمان صبري-٢٠٠٥. باللغة الكردية-بيروت.

١٦-معارك صاصون-أوصمان صبري-٢٠٠٥-بيروت.

١٧- التاريخ الفولكلوري لامارة بوتان-ملا خلف بافي-٢٠٠٥.

١٨-الكاتب والشاعر قدري جان-باللغة الكردية-٢٠٠٥-بيروت.

١٩-معارك صاصون-أوصمان صبري-اسطنبول٢٠٠٥.

٢٠-رحيل الشاعر تيريز-٢٠٠٥-المانيا.

٢١-قصة المولد (Mewlûda pêxember)، تيريز -٢٠٠٦-بيروت.

٢٢-ديوان شعر(وثن للعشق)،دمشق.ترجمة:الشيخ توفيق الحسيني.

٢٣-طرائف كردية-٢-باللغة الكردية-تيريز-٢٠٠٩.موقع تيريز.

24-أطياف الماضي -٢٠٠٩. بيروت- لبنان.

25-مختارات (لقاءات وحوارات)، جزء(١)-٢٠٠٩. بيروت- لبنان.

26-مختارات (لقاءات وحوارات)، جزء(٢)-٢٠٠٩. بيروت- لبنان.

الأعمال التي ساعد الأميرة روشن بدرخان بانجازها وقام بطبعها ونشرها:

١-مذكراتي-صالح بدرخان-دمشق-١٩٩١.

٢-الأمير بدرخان-لطفي-بيروت-١٩٩٢.

٣-رسالة الى حضرة الغازي مصطفى كمال باشا-جلادت بدرخان.

٤-مذكرات امرأة- الجزء الثاني-دمشق. دار علاء للنشر.

-له أعمال باللغة الكردية والعربية كثيرة لم تنشر بعد.